هنا العارفون بأسرار هـذه الشئون الطبيعية ، والواقفون على حقائق المساتير الكونية فوق علمهم بالأمور الالهية ؟

وانل قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) بكسر اللام .

ألا ترى أن فى تذييل هذه الأمور الكونية بقوله تعالى : « إن فى ذلك لآيات للعالمين » إشعارا بأن المقصود بالعالمين الذين يلمون بما هُدى اليه الباحثون من هذه المعارف الطبيعية والإنسانية ؟

فالعلم الذى يدعو اليه الكتاب ، وتحث عليه السنة النبوية ، هو كل ما يُدفع به الجهل والخبط ، سواء أكان فى العقائد الدينية ، أم فى الشئون المادية . فقد علم الله سبحانه وتعالى أن الإنسانية كما تحتاج لعلم صحيح فيما يتعلق بعقائدها ، تحتاج كذلك الى علم بما تستصلح به معيشتها ، وتبنى به اجتماعها ، وتستكمل به وسائلها ، وتحكم به جميع محاولاتها . وقد فهم آباؤنا الأولون هذا الفهم نفسه ، فهبوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العلم بأوسع ما يحتمله هـذا اللفظ من معان ، فتخصص بعضهم لعلوم الدين ، من ضبط قراءة كتابه ، وتفسير معانيه ، وطرق استنباط الأحكام منه ، الى غير ذلك . ومنهم من وقفوا أنفسهم لدراسة السنة وتدوينها ، ونقد رواتها ، وتمييز أصيلها من دخيلها . وجماعة جعلوا غرضهم اللغة ، فعمدوا الى تحرير مفرداتها ، وضبط مدلولاتها ، وحصر الفاتها ، ووضع معاجمها ، وتدوين علومها . وفرق أخرى استهدفت العلوم الكونية على اختلاف موضوعاتها ، من فلك ورياضة ، وطب وصيدلة ، وكيمياء وطبيعة وغيرها ، فاستوعبوا كل ما وجدوه شائعا من كتبها ، فاما لم يرو لهم غلة شرعوا يترجمون ما ادخره اليونان والرومان والفرس فى مكتباتهم ، فاستخرجوا منها ما كان فى حكم المعدوم ، فألّفوا من ذلك كله مجموعة من العلم لم تتفق لأمة قبلهم ، فقد حشروا اليها كل ما ثبت نفعه من المعارف ، غير متأثرين بعصبية ، ولا بنزعة جاهلية ، كما وصاهم رسولهم صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت » ، فكانوا

لا يبالون فى العلم أن يأخذوه من أى مصدر كان ما دام ينتفع به ، ولا يأنفون أن ينتفعوا بالعلماء وإن كانوا من غير ملتهم ؛ فأسندوا رئاسة كثير من جامعاتهم العلمية لرجال من ذوى الملل الأخرى ، لما ثبت لهم أن ليس فى المسلمين الى ذلك العهد من يسدون مكانهم .

وقد ثبت أن أسلافنا لم يتأثموا من تعلم شىء مما ترجموه ، بل تناولوه جملة وأوسعوه تقلية وبحثا ، فنفوا ما ثبت بطلانه ، واحتفظوا بما عرفوا صحته ؛ فزادوا مادته ، واكتشفوا علوما لم تكن معروفة قبلهم كعلمى الكيمياء والجبر . ولم يتحرجوا من البحث فى أى مذهب من مذاهب العلم بحجة أن ذلك يضر بالدين ، أو أن الدين يحرمه ؛ حتى بحثوا فى السحر والطلاسم والأوفاق والزايرجا والتنجيم والسيمياء ، وكل ذلك تحت شعار هذه الحكمة العالية : « تعلم السحر ولا تعمل به » .

الخلاصة أن المسلمين قاموا بدافع من دينهم الى تلمس العلم من جميع مظانه ، وشغفوا به شغفا لم يرو التاريخ مثله عن أمة . فهل سمعت فيما قرأت من تاريخ الحروب أن أمة منتصرة تفرض فيما تفرضه على الأمة المغلوبة أن تعطيها مكتبة علمية ؟ هذا ما فعله المسلمون على عهد المأمون بن الرشيد ، فقد شرطوا فى صلحهم مع الرومان تسليمهم مكتبة عينوها لهم ، فقبل أمبراطورهم هذا الشرط وسلمهم المكتبة ، فأكبوا على ترجمة أحسن ما فيها ، وأضافوه الى ماسبق لهم ترجمته ، حتى أصبحت لهم زعامة العلم فى الأرض ، وصارت مدارسهم وجامعاتهم معاهد للثقافة العالية يقصدها الناس من كل بقعة فى العالم .

فاذا كان لا بد من الاستئناس بقول مؤرخ أجنبى فى هذا الشأن ، فإليك ما قاله الأستاذ الفيلسوف ( درابر ) المدرس بجامعة نيويورك فى كتابه المنازعة بين العلم والدين :

« إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨م) أى بعد وفاة محمد بست سنين ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح » .

الى أن قال :

« ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة (٧٥٣ الى ٧٧٥ م) نقل عاصمة الملك الى بغداد وجعلها عاصمة فخمة ، فلم يأل جهدا فى بذل الوسع فى نشر العلوم الفلكية ، وتأسيس مدارس الطب والشريعة .

« ولما تولى حفيده هرون الرشيد سنة (٧٨٦ م) اتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العامية ، وأمر بإضافة مدرسة الى كل مسجد فى جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الأسيوية لم يشرق إلا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ — ٨٣٢) فإنه جعل بغداد العاصمة العامية العظمى ، وجمع اليها كتبا لا تحصى ، وقرب اليه العاماء ، وبالغ فى الحفاوة بهم .

« هذا المركز الذى اكتسبه العرب ، وهذا الذوق السليم فى العلم ، استمر لديهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم الى ثلاثة أقسام ، فإن العباسيين فى آسيا ، والفاطميين فى مصر ، والأمويين فى اسبانيا ، لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فحسب ، بل كانوا كذلك فى العلوم والآداب أيضا .

« ذاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن ، وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم مجتمعة . أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث ، وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الأوربيين ، فإنهم قد تحققوا أن الأسلوب العقلى النظرى لا يؤدى الى التقدم ، وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها . من هنا كان شعارهم فى أبحاثهم الأسلوب التجريبى ، والدستور العملى الحسى . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة فى الميكانيكا والايدروستاتيك (علم توازن السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ، ونظريات الضوء والابصار ، أنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . هذا هو الذى قاد العرب

الى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمستكشفين لعدة آلات للتقطير والتصعيد والإسالة والتصفية الخ . وهذا بعينه أيضا هو الذى جعلهم يستعملون فى بحوثهم الفلكية الآلات المدرجة ، والسطوح المعلمة ، والإسطرلابات (هى آلات لقياس أبعاد الكواكب) ، وهو أيضا الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته . وهو الذى هداهم لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية (الأزياج جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند . وهو أيضا الذى أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات . وهو أيضا الذى همّ بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الأرقام الهندية »

ثم قال فى عرض كلامه على مكتباتهم :

« وقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد ، وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة فى أربعة وأربعين مجلدا . وغير هذا فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة ، وكثير من المكتبات الخاصة .

«أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة الجامعة أن يؤلفوا كتبا فى الفروع العلمية التى تطلب منهم ، وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه .

« وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جدا فى الجغرافيا والإحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله .

« كان المُلك الإسلامى يغص بالمدارس والمكتبات ، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها ، وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة ، التى فاقت المملكة الرومانية كثيرا ، مرصد فى سمرقند لرصد الكواكب ، وكان يقابله فى الطرف الآخر مرصد جيرالد فى الأندلس .

« ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العامية العظمى ، لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فإنهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ( تأمل ) ، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » .

ثم قال :

« إن نتائج هـذه الحركة العامية تظهر جليا فى التقدم الباهر الذى نالته الصنائع فى عصرهم ، وأفاض فى تفصيل ذلك ، ثم قال :

« ليست أوروبا العصرية بأعلى ذوقا ، ولا أرقى مدنية ، ولا ألطف رونقا من عواصم الأندلس على عهد العرب ، فقد كانت شوارعهم مضاءة بالأنوار ، ومباطة أجمل تبليط ، والبيوت مفروشة بالطنافس ، وكانت تدفأ شتاء بالمواقد ، وتهوى صيفا بالنسمات المعطرة بوساطة إمرار الهواء تحت الأرض من خلال أوعية مملوءة زهرا ، وكانت لهم حمامات ومكتبات ومحلات للغذاء وينابيع مياه عذبة الخ » انتهى كلام الأستاذ درابر .

نقول بعد هذا : بهذه الروح العامية كفل الاسلام للآخذين به كل ما تستدعيه الحياة الاجتماعية من عوامل للتطور ، وبواعث للنهوض والارتقاء ، ودوافع للتبسط فى الأرض ، والاختلاط بالأمم والاقتباس منها ، واستهداف أغراض قصية ، والدأب على بلوغها . فكان للاسلام ما رمى اليه ، فتألفت من أهله أمة لم تبلغ شأوها أمة قبلها ولا بعدها : صحة فى العقيدة ينحنى العقل والعلم إجلالا لها ، وتسليما بها ؛ وعلو فى الحياة كانوا معها مطمح أنظار الأمم ، تعشو الى نورهم ، وتستهدى بهديهم ؛ ومدنية فاضلة تنعم فيها الروح والجسم معا ، مصداقا لقوله تعالى : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

محمد فريد وجدى




(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) .

لقد ورد فى فضل هذه السورة أحاديث عدة ، منها ما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلا سمع رجلا يقرأ « قل هو الله أحد » يرددها ، فلما أصبح جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالُّها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن . وروى عنه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يقرأ قل هو الله أحد ، فهى ثلث القرآن . وكذلك روى أن رجلا كان على سرية ، وكان يقرأ فى صلاته قل هو الله أحد ، فلما رجعوا أخبروا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخبروه أن الله يحبه . وروى غير ذلك مما هو فى معناه .

وقد وجه شراح الحديث كونها تعدل ثلث القرآن بجملة توجيهات ، منها أن القرآن على كثرة ما فيه من فنون الهداية يرجع فى الإجمال الى التحديث عن ذات الله وتنزيهه ووصفه بصفات الكمال ، والى الأحكام ، والى الأخبار . وهذه السورة قد اشتملت على القسم الأول ، فتنزيهه فى « الله أحد » وفى « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ووصفه بصفات الكمال فى « الله الصمد » .

ومنهم من حمله على المعادلة فى الثواب . وقد عهد فى الأحكام أن الله تعالى يختص بعض الأعمال بمزيد ثواب بالقياس الى أعمال تشاركها وتشبهها فى نوعها ، ويكون ذلك تارة لخصوصية فى الزمان كليلة القدر وليلة الجمعة ، وفى المكان كالصلاة فى المسجد الحرام ومسجده صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى ، وفى نفس العمل كصلاة الفرض بالقياس لصلاة النفل ، ولو كانت صلاة النفل أكثر عددا وأشق فعلا .

ولعل من حكمة ذلك أن أعظم ما يقصد من العبادة أن يكون قلب العبد مستنيرا بنور جلال الله وكبريائه ، وهذا قريب الحصول جدا من تلاوة هذه السورة ، فإنها لجلاء معناها للعقول ، واختصارها فى الصورة ، تبقى حاضرة فى القلوب ، متجلية للعقول ، تتأثر بها النفس أعظم تأثر ، فلا جرم كان لها هذه الخاصية . ولعل فى تسميتها سورة الإخلاص مايقرب هذا المعنى للعقل ، فإنها قد اشتملت على صفات التنزيه وهى صفات الجلال ، وعلى صفات التمجيد وهى صفات الجمال ، فى قوله : «الله الصمد» ومتى امتلأ قلب المؤمن بتنزيه الله عن الشريك والمكافىء ، والولد والوالد ، وعن النظير والشبيه ، وعن الجزء وعن الجسمية ومايلتحق بها ، فقد أخلص لله العبادة وخلص من شوائب الشرك . وإذا أضيف إليه استيقان النفس بأنه هو الفعال لما يريد ، الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، الذى شملت قدرته كل ممكن ، فهو الذى يصمد اليه أى يقصد فى الحوائج ، انقطع اتجاهه الى أى كائن سوى ربه ، وكفى بالإخلاص بابا للنجاة ، ولذلك سميت سورة النجاة ، وسورة المعرفة ، ولها أسماء عدة غير ما ذكر ، كسورة التوحيد وسورة التجريد ، وسورة الأساس ، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد . والحديث يشير الى البرهان المذكور فى الآية الشريفة « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فقد قررت أن أساس الإيجاد هو الوحدة ، ولولاها لم يكن هذا العالم الذى نراه على أتم نظام .

هـذا وليعلم أن تفضيل سورة على سورة أو آية على آية لا ينفى أن الـكل كلام الله متحد النسبة إليه ، وأنه جميعه حائز من الشرف والـكمال والبعد عن النقص الدرجة العظمى .

سبب نزولها — قيل إن قوما من المشركين أرسلوا الى النبى صلى الله عليه وسلم من يقول له : لقد شققت عصانا ، وسببت آلهتنا ، وخالفت دين آبائك ؛ فإن كنت فقيرا جمعنا لك من مالنا حتى تـكون أغنانا ، وإن كنت تبغى الملك ملـكناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كان يعتريك شىء من الجن التمسنا لك من يداويك . فقال : لست بشىء مما تقولون ، وإنما أنا رسول الله أدعوكم الى عبادته . فقال : انسب لنا ربك أوصف لنا ربك : أمن ذهب أم من فضة ؟ فنزلت هذه السورة .

وقيل فى سبب نزولها إن قوما من اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم : هذا الله خالق كل شىء فمن خلق الله ؟ فغضب صلى الله عليه وسـلم ، فنزل جبريل فقال له : اخفض جناحك ، ونزلت هذه السورة . وعلى الأول تـكون السورة مـكية ؛ وعلى الثانى تـكون مدنية . وقال بعضهم : لا مانع من تـكرر نزولها .

قوله تعالى : « قل » أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يقول ، والأمر وما بعده كل من كلام الله عز وجل المتلو ؛ ويكون الامتثال بعد ذلك فيما يدعوهم إليه ، وهو مقول القول بعده ، فهو كقوله تعالى : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) وكقوله تعالى : ( قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ) وأمثال ذلك ، ينزل عليه الأمر قرآنا يتلى ، وبمقتضاه يـكون مكلفا بالإتيان بما أمر به . والسر فى إثباتها مع أن الشأن فى امتثال الأمر بقل أن يتلفظ المأمور بالمقول لا بلفظ قل ، هو الإشارة الى أن هذا أمر موجه الى كل من تعرض لمثل هذا المقام ، وابتلى بمثل ما ابتلى به عليه السلام ، أو كأن كل واحد يعرض له مثل ذلك يخاطب نفسه بقوله : قل .

وقوله : « هو الله أحد » لفظ هو ضمير الشأن ، ويؤتى به عادة فى موضع مزيد العناية

بالجملة التى تليه ، ويقرب منه فى الاستعمال المتعارف بيننا ما يجرى فى كلام الناس إذ يكون أحد المتخاطبين قد أراد جمع ذهن السامع فيقول له : « الأمر وما فيه إننى قابلت فلانا وكلمته فى كيت وكيت » فكلمة « الأمر وما فيه » وما يشبهها كقولك : « المسألة كلها) أو « الموضوع » ونحو ذلك ، هى بمثابة ضمير الشأن فى اللغة الفصحى ، وهى مبنية على الاختصار والدقة فى الإفادة ، ذلك أن المتكلم حين يأتى بالضمير ولم يكن قد سبق له مرجع يفسره ، تبحث النفس عن تفسيره ، فاما لم يجده بعد البحث يتجه أكمل اتجاه لما سيلقى بعده عساه يفهم منه معناه ، فيتمكن ما بعده فى النفس أكمل تمكن .

ولفظ الجلالة ( الله ) اسم للذات الأقدس ، الجامع لكل صفات الجلال والجمال ، فلا يخص صفة بعينها بالتنبيه ، فليس كباقى الأسماء من الرحمن أو العليم أو القدير أو الغفار أو القهار مثلا ، فلكل اسم من أسمائه تعالى معنى خاص يشير اليه من صفاته تعالى ، وأما لفظ الجلالة فهو يشير الى الذات التى جمعت كل تلك الصفات .

ولفظ ( أحد ) بمعنى واحد ، والمراد بها وحدة الذات بمعنى عدم تركبها أو تجزئها ، ووحدة الصفات أى عدم وجود مشارك له تعالى فى صفة الإلهية ، ولفظ (أحد) تفيد المعنيين ، أى عدم التركب وعدم التعدد ، بخلاف لفظ واحد فإنها ظاهرة فى نفى التعدد ولا تنفى التركب ، فيقال جيش واحد مثلا ، ولا يقال جيش أحد .

ولا نرى بأسا من ذكر كلمة لغوية تختص بكلمة (أحد) : ذلك أنها تارة تكون ملازمة للنفى وشبهه ، فيراد بها نفى الجنس مطلقا فى انفراد أو اجتماع ، وهى فى هذا تخالف لفظ واحد . فلك أن تقول: ليس فى الدار واحد بل اثنان ، ولا تقول : لا أحد فى الدار بل اثنان . ولذلك يصح وصفها حينئذ بصيغة الجمع ، كقوله تعالى : ( فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ) ، وتارة تستعمل فى الإثبات ، وهى على ثلاثة أوجه : إما بمعنى أوّل ، كقوله تعالى :( أَما أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ) وكقولك فى التعداد مثلا : هم فريقان : أحدهما كذا ، والثانى كذا ؛ وإما مضمومة الى العشرات ، كقولهم : أحد عشر وأحد وعشرون ؛

وإما وصفا فتختص بالله تعالى ، لأنها حينئذ بمعنى التنزيه عن النظير الموجب للتعدد ، وعن الجزئية الموجبة للتركب . فكان فى لفظ الأحد كمال الوحدة بحيث يكون منزها عن التركيب والتعدد خارجا وذهنا ، وما يستلزمهما كالجسمية والمشاركة فى حقيقة الألوهية أو خواصها ، كوجوب الوجود وكمال القدرة والعلم وشمولها . فالتنزيه عن هذا كله مستفاد من لفظ « الله أحد » . ولعظم خطره أتى قبل الجملة بضمير الشأن على ما سبق ، لينبه الذهن الى تلقيه والاستشراف له ، فيتمكن فى نفسه معناه أقوى تمكن . وناهيك بجملة هى مجمع التنزيه والتقديس ، تغرس فى نفس المؤمن أن لا رب غيره ولا معبود سواه .

(الله الصمد) : الصمد هو الذى ينتهى اليه السؤدد وليس فوقه ولا يسامته أحد . وهو الذى يصمد اليه الناس فى حوائجهم وشئونهم أى يقصدونه . فصمد بمعنى مصمود اليه أى مقصود ومتوجه اليه . وقصد الخلائق اليه تعالى بحوائجهم إما بالاختيار المنبعث عن الإيمان ، وإما بالالتجاء الاضطرارى الذى تدعو اليه الضرورة حتما ، وهو المشار اليه بقوله عز من قائل : (وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا) وهو ما تراه يفزع اليه كل من يصاب بما لا قبل له به ، إذ يلجأ الى قوة يشعر بها بين جنبيه وإن انبهم عليه طريق فهمها على الوجه الأكمل . وإما بالاستعداد الأصلى الذى تشترك فيه جميع الماهيات ، وهو مقتضى إمكانها ، واستمداد الوجود والكمال المنشود لكل نوع منها منه تعالى ، فهو جل شأنه مفزع المؤمنين فى آمالهم ، وملجأ المضطرين فى كشف آلامهم ، وهو متجه الخلائق أجمعين فى نيل الحظ المقدر لكل منها ، من الوجود والكمال ، والتطور من حال الى حال . فهو وحده الصمد على الإطلاق ، فهو الفعال لكل شىء ، والمدبر لكل أمر ، والمحيط علمه بكل سر وجهر ، والمتناولة حكمته لكل صغير وكبير ، ولكل جليل وحقير ، وهو على كل شىء قدير . فترى فى كلمة «الله الصمد» على وجازتها الوصف بصفات الجمال والتأثير كلها ، كما كانت كلمة « الله أحد» وافيةً بصفات التنزيه عن الشريك والنظير ، وعن الجزئية والتركيب وما يستلزمهما .

قالوا : وإنما عرف لفظ الصمد دون لفظ أحد، لأن المخاطبين يعهدون فى نفوسهم ويعرفون من فطرتهم أن هناك من يقصد فى الملمات ، ويصمد اليه فى إدراك الرغائب وإحراز الكمال ، ويتطلعون الى معرفته ، فجىء باللفظ معرفا لهذا ، وليدل على الحصر وأنه ليس هناك من يصمد اليه غيره. وليس معنى الوحدة ثابتا فى أذهانهم حتى يشار اليه هذه الإشارة ، بل كانت نفوسهم من جهة الوحدة ملوثة بالشرك ، متعلقة بالجسمية ، لا يفهمون الوجود إلا مقارنا لها ، بدليل سؤالهم: أمن ذهب ربك أم من فضة ، وقولهم فى بعض الروايات : إن ثلثمائة وستين إلهاً لا يقومون بحاجاتنا أفيقوم بها إله واحد ؟ .

هـذا وفى تكرير لفظ الجلالة فى الجملة الثانية دون الاكتفاء بالضمير أو باللفظ الأول مزيد العناية بإيقاع هذا الوصف الخطير العظيم على صريح اللفظ لا على ضميره ، ليغرس معناه فى النفس غرساً مكيناً . وترى فى ترك العطف بين الجملتين الإشارة الى أن كلا منهما مستقلة بالقصد إليها ، والتوجه لتقريرها فى ذاتها ، بقطع النظر عن تبعيتها لغيرها ، فهى كما تقول فى امتنانك على شخص مثلا : أنا أكرمته كل الإكرام ، أنا ساعدته وقت الحاجة ، أنا نوهت بشأنه بعد الخمول ، تعطى كل جملة على أنها قائمة بنفسها مستقلة بالقصد اليها .

( لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ) : كانت الآية الأولى من السورة الكريمة للتنزيه عن الشريك والتركب ، وما بعدها للوصف بصفات الكمال الثبوتية . وهاتان الآيتان للتنزيه عما زعمه بعض جهلة المتدينين من أهل الكتاب من أنه جل شأنه قد اتخذ ولدا ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، فقد نسبوا لله الولد ، وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل. أخذوا يلفقون أقوالا يتوصلون بها الى زعمهم ألوهية المسيح، وحاولوا أن يجمعوا بينها وبين دعواهم أنهم من أهل التوحيد ، فلما لم يفلحوا فى الإتيان بما تقبله العقول قالوا : هذا مما يعلو على العقل تصوره ، وليس للعقل أن يبحث فى قضايا الإيمان ، بل يجب عليه أن يسلم ما يلقى اليه بدون بحث .

وإن العجب ليحيط بالعاقل من كل ناحية إذ يهمل العقل الذى ما ثبت الدين إلا به بحكم هذا الدين . فلولا تمييز العقل القضايا الصحيحةَ المبرهنةَ من الدعاوى الكاذبةِ الباطلةِ ما استطاع أن يميز بين الرسول الهادى فيتبعه ، والدجال الضال المضل فيحاربه ويردعه ، فكيف يكون العقل هو أساس الدين ثم يكر عليه الدين فيعطله ويهمل أحكامه ؟ وأى شىء يكون الدين فى نظر العقل حينئذ ، إذ يبنيه ليهدمه ، ويوجده ليعدمه !

نعم قد يكون فى الدين ما يعلو على تصور العقل ، لكن لا على معنى أن العقل يجزم ببطلانه ولا يستطيع أن يسلم به ، بل على معنى أن العقل لو خلى ونفسه لا يستطيع الوصول إليه وإدراكه بنفسه ، بل يحتاج الى مرشد يهديه اليه ، ومتى فهمه سلمه ولم يجد محالا يتجرعه ولا يكاد يسيغه كما هو فى زعمهم ، فقد زعموا أن الأب هو الأقنوم الأول ، والابن هو الأقنوم الثانى الصادر منه صدورا أزليا ، فهو مساوله فى الأزلية ، وروح القدس هو الأقنوم الثالث الصادر عنهما كذلك ، والطبيعة الإلهية واحدة ، وهى لكل واحد من الثلاثة ، وكل من الثلاثة متحد معها ، وكل من الثلاثة مستقل فى ذاته عن الآخرين ، فالأب ليس هو الابن ولا روح القدس ، والابن ليس هو روح القدس ، ومع هذا هم إله واحد ، وطبيعة واحدة ، وكل منهم يتحد مع اللاهوت ، وإن كان بينهم تمايز . فالله عندهم ثلاثة أقانيم متمايزة بعضها عن بعض تمايزا حقيقيا ، ومع ذلك هو جوهر واحد ، وطبيعة واحدة ، وليس يوجد فيه غيره ، بل كل ما هو داخل فيه عين ذاته . فالثلاثة متساوية فى أن كلا منهم ذات الإله ويستحق العبادة . ولما لم يكن هذا مما يستطيع أن يهضمه العقل ، تستروا بكلمة : إن ذلك مما يجب الإيمان به وإن كان فوق طور العقل البشرى !

ثم زعموا أن الأقنوم الثانى تجسد — وهو الكلمة — واتحد بأشرف أجزاء البتول بقوة روح القدس ، فكان المسيح عليه السلام المركب من الناسوت ، والكلمة . فهو عندهم إنسان تام وإله تام ذو طبيعتين ، ولذلك تحمل عليه صفات الإلهية والبشرية .

فترى أنه يصح بمقتضى كلامهم أن يقولوا : المسيح ابن الله ، وأن يقولوا : إن الله هو المسيح ، وأن يقولوا : الله ثالث ثلاثة . وهي مزاعم أعجب ما فيها أن تجد من عقول أناس يفهمون — عشاً تأوى اليه ومرتعا ترتع فيه . سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

ولما كانت الأحدية على ما سبق متضمنة نفى النظير والشريك ، ونفى الجزئية والتركيب ، وكانت الصمدية مستلزمة الغنى المطلق عن كل شيء واحتياج كل شيء اليه ، كان نفى الولادة والمولودية عنه ونفى النظير المكافىء كالنتيجة لهما ، فإن من يلد يكون قد انفصل عنه جزء حقق الولد ، والولد بالضرورة من جنس والده ، فلو كان له ولد لكان له جزء وكان له نظير مكافئ . وكذلك لو ولد من غيره لكان محتاجا الى ذلك الغير ، فلم يكن هو الصمد الذى يحتاج اليه وحده ، بل يكون الأحق منه بالصمدية من نشأ هو عنه واحتاج اليه فى صدوره وكينونته ، ثم يكون نظيرا لمن نشأ هو عنه ، فيكون له كفء . فتجد هذه الأحكام الثلاثة بالنسبة لما سبق كالنتيجة للمقدمات .

وقد أتى بهذه الجمل الثلاث متعاطفة بالواو ، لأنها تشترك فى نفى النظير والمماثل والمناسب بأى وجه من الوجوه . وتجد الثلاثة المذكورة كالأقسام لهذه المماثلة ، فإن النظير إما والد أو مولود أو غيرهما ، فلما تغايرت الثلاثة فى أنفسها واشتركت فى مقسم واحد وهو المناظرة والمشاركة ، كانت الثلاثة بذلك متممة لمعنى واحد هو المقسم ، فلذلك جاءت متعاطفة ، بخلاف مجموع هذه الثلاثة مع الحكمين السابقين ، فقد عرفت أنه كالنتيجة لهما ، وبخلاف الحكمين الأولين أحدهما مع الآخر ، فإن الأول للتنزيه بنفى ما لا ينبغى ، والثانى للتمجيد بإفادة ثبوت الصفات الكمالية له تعالى .

وقد أتى فى التعبير بلفظ لم التى هى للنفى فى الماضى ، أما فى ( لم يولد ) فظاهر ، لأنه لو كان جل شأنه بصدد أن يولد لكان ذلك قد حصل فيما مضى ، وأما فى ( لم يلد ) فلأن

الذين يردُّ عليهم يزعمون أن ذلك قد حصل وانتهى لا أنه أمر يتجدد كل حين ، وأما في ( لم يكن له كفوا أحد ) فلأن الذي يتوهم أن يكون مكافئا له هو من يكون قد وجد من الأزل ، فاذ لم يكن له كفء في الماضي فلا يتصور أن يكون له كفء بعد ذلك . ثم تقديم لم يلد على لم يولد ، لأنه الأهم ، إذ هو الذي كثر مدعوه ، وإن كان يلزمهم أنه ولد أيضا ، إذ يقولون إن المسيح إله على ما سبق . وتأخير لم يكن له كفوا أحد عنهما ، لأنه استغراق لنفي كل ما يتصور من وجوه المماثلة ، فهو كالعام بعد الخاص .

هذا ، وأنت ترى هذه السورة الكريمة قد اشتملت على معظم العقائد الإلهية مع كمال الإيجاز في اللفظ ، ومنتهى الوضوح في المعنى ، فالأحدية أتت على معظم صفات التنزيه ، والصمدية أفادت كل صفات التأثير : من القدرة ، والإرادة ، والعلم ، ويلزمها الحياة ، بل مما يصمد اليه فيه الهداية التي تجيء على ألسنة الرسل يوحى إليهم بكلامه القديم . ثم نفي الولدية والوالدية والمكافيء فيه نفي النظير بأي وجه من وجوه المناظرة ، سواء أكان من جنسه أم نوعه أم غير ذلك . والمعارف الإلهية هي أشرف ما يقصد اليه من الأحكام الدينية ، وهي الأساس لكل أنواع الهداية الربانية والسعادة الأبدية ، فلا عجب أن ورد في فضلها ما ورد ، وأن يقول صلى الله عليه وسلم لمن أبلغه أن فلانا كان يكرر قل هو الله أحد في الصلاة : « أخبروه أن الله يحبه » .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا محبته ، وأن يوفقنا للاهتداء بهدايته ، وأن يشرب قلوبنا معناها حتى تمتزج بنفوسنا وأنفاسنا ، وأن يسلكنا مع المقربين من عباده ، إنه سميع مجيب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

ابراهيم الجبالي

# عمر الفاروق رضى الله عنه

## - ٢ -

ألممنا فى العدد السابق بحصة من سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونأتى اليوم على حصة أخرى ، متابعين تاريخه الحافل بعظائم الأمور وجلائل الأعمال ، فنقول :

### كرة أمبراطور الرومان على سوريا :

لما أتم المسلمون فتح سورية وانتزعوها من أيدى الرومانيين فى ثلاث سنين أمضوها فى حروب طاحنة ، لم يلبث الأمبراطور هرقل أن كر عليهم بجند كثيف من ناحية حمص عن طريق البحر ، وكان أبو عبيدة بها .

فجمع أبو عبيدة قواده ليستشيرهم ، فأشار عليه خالد بن الوليد بأن يبادر الى مناجزة عدوه دون تريث ، وأشار عليه غيره بأن يكتب لأمير المؤمنين بالمدينة ، فعمل بهذا الرأى الأخير . وكانت جيوش هرقل قد وصلت ، وتواردت عليه الأمداد من كل وجه .

فكتب أمير المؤمنين عمر الى سعد بن أبى وقاص فى العراق أن أبا عبيدة قد أحيط به ولزم حصنه ، فبث المسلمين بالجزيرة وأشغل الرومانيين بهم عن حمص .

فأرسل سعد جيوشا الى سورية تحت قيادة القعقاع بن عمرو وغيره ، وأمر أن يسلك كل قائد طريقا الى الجزيرة ، فيقصد جيش قرقيسيا ، وآخر الرقة ، وثالث نُصَيبِين ، ورابع حران والرها ، وخرج عمر نفسه ممدا لأبى عبيدة . فلما بلغ الرومانيين كل هذا التأهب لملاقاتهم ، انفضوا الى مدائنهم وتحصنوا بها ، فحاصرهم المسلمون فيها ليمنعوهم من إمداد هرقل ، فدبّ الفشل الى جنوده .

فاستشار أبو عبيدة قواده ومنهم خالد بن الوليد، فأشاروا عليه بالخروج لمقاتلة هرقل. فخرج فى قلب جيشه وعلى ميمنته خالد وعلى ميسرته عباس، فحدث قتال انهزم فيه الرومان شر انهزام، وتركوا الشام يائسين منها، حتى روى عن أمبراطورهم نفسه أنه قال وهو خارج منها: أودعك ياسورية الى الأبد!

## فتح العراق وفارس:

لما ولى عمر رضى الله عنه الخلافة ندب الناس لفتح بلاد الفرس، فلم ينتدب له أحد، لتوهم الناس أن أمر فارس يلتوى عليهم، لما عرفت به من شدة البأس وقوة الصولة.

فأعاد عمر ندب الناس الى فتح بلاد الفرس قائلا:

« إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة، ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك. أين القراء المهاجرون عن موعود الله. سيروا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال: (ليظهره على الدين كله)، والله مظهر دينه، ومعز ناصره، ومولى أهله مواريث الأمم، أين عباد الله الصالحون؟ »

فكان أول من لباه أبو عبيد بن مسعود الثقفى، وتلاه سعد بن عبيد، وسليط بن قيس. فاختار عمر منهم أبا عبيد فولّاه قيادة الجيش، وقال له:

« اسمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، وأشركهم فى الأمر، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف، ولم يمنعنى أن أؤمر سليطا إلا سرعته الى الحرب، وفى التسرع الى الحرب ضياع إلا عن بيان الله »

فخرج أبو عبيد على رأس جيش فى آخر جمادى الأولى من سنة (١٣) الى الحيرة من بلاد العرب، وكانت تحت حماية الفرس، وكان عليها امرأة يقال لها بوران، فاستدعت القائد رستم الفارسى وسلمته القيادة العامة، فالتقى أحد قواده واسمه جابان بجيش أبى عبيد فانهزم أهل الحيرة وأسر قائدهم.

وتقدم أبو عبيد الى كسكر ، فالتقى هناك بقائد فارس اسمه نرسى ، فهزمه .

ثم تقدم أبو عبيد فى زحفه ، فلقيه قائد فارسى اسمه بهمن جاذويه ، وكان جيشه مؤلفا من جنود مدربين ، فأسرع أبو عبيد بعبور نهر المروحة مطّرحا نصيحة سليط بن قيس فى عدم عبوره ، فقابلهم الفرس بشدة ، فقتل أبو عبيد فى المعركة ، واشتد كَلَب الفرس عليهم ، فانهزم المسلمون وهموا باجتياز النهر الذى عبروه ، فكبر ذلك على رجل من المتحمسين ، فهدم الجسر ليجبر المنهزمين على الثبات ، فكان فى ذلك شر كبير على إخوانه المسلمين ، إذ أعمل الفرس فيهم السيوف ، فبادر المثنى بن حارثة على رأس جماعة من الجنود فشاغلوا الفرس حتى أصلح الجسر وأمكن المرور عليه .

لما بلغ عمرَ خبر هذه الهزيمة أرسل إليهم مددا تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلى ، فلما أدرك الفرس أن المسلمين جادون فى حربهم ، أرسلوا إليهم قائدا مدربا اسمه مهران فعبر لهم النهر ، فعبأ المثنى بن حارثة جنوده ولقى الفرس فهزمهم شر هزيمة .

كان الفرس الى هذا العهد فى دور من تفرق الكلمة خطير ، فقد كان كل حاكم على إقليم متغلبا عليه ومستقلا به ، ليس لهم ملك يجمع كلمتهم ، فلما رأوا أن العرب قد قصدوا فتح بلادهم ، اتخذوا لهم ملكا يوحد صفوفهم ، ويقودهم للدفاع عن وطنهم ، فأقاموا يزدجرد بن شهريان من آل كسرى ملكا عليهم .

فلما بلغ عمر ذلك ضاعف من نشاطه ، واستنفر الناس لقتال الفرس ، وخرج بنفسه فعسكر على ماء بقرب المدينة ، وجنوده لا يعلمون مقصده من ذلك ، ثم فاتحهم بعزمه على الخروج بنفسه لقتال الفرس ، وطلب إليهم رأيهم فى ذلك ، فأجمعوا على أن يقيم هو بعاصمة الخلافة ، وأن يعين قائدا يتحمل أعباء القيادة .

فقبل منهم هذا الرأى ، ولكنه حار فى انتخاب ذلك القائد الذى يلقى عليه تبعة هذه المهمة الخطيرة ، وفيما هو كذلك ورد عليه كتاب من عامله على صدقات هوازن سعد بن أبى وقاص ، فقال بعض رجاله : يا أمير المؤمنين قد وجدته . قال عمر : فمن ؟ قال

ذلك البعض : الأسدَ عاديا . قال عمر : من هـو ؟ قالوا سعد بن أبي وقاص . فلم يتردد فى تقليده القيادة . وكان مما أوصاه به قوله :

« ياسعد : سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجـل لايمحو السيء بالسيء ، ولـكنه يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته . فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعاقبة ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر الأمر الذى رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر . هذه عظتى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين » .

ثم لما أراد أن يسرحه قال له :

« إنى قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتى ، فإنك تقدم على أمر شديد كربه ، لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتادا ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله . واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين : فى طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه فى الحق سواء . وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس . فلا تزهد فى التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبدا حببه ، وإذا أبغض عبدا بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك فى أمرك » .

سار سعد بن أبي وقاص فى أربعة آلاف مقاتل ، ولحق به من لحق من الأمداد ، فما وصل القادسية إلا ومعه ثلاثون ألفا ، فلم يجد بها جندا من الفرس ، فأخذ يبث

السرايا هنا وهناك ، ثم تقدم اليه القائد المشهور رستم حتى عسكر بساباط فى مائة ألف مقاتل .

فبادر سعد بن أبى وقاص بإرسال وفد الى يزدجرد ليعرض عليه الدخول فى الاسلام أو الجزية ، منهم الأشعث بن قيس ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، والمغيرة بن شعبة . فجمع يزدجرد وجوه دولته وقابلهم . فلما مثلوا لديه قال يزدجرد للترجمان : سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى حربنا ؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه : إن شئتم تكلمت عنكم ، ومن شاء الكلام آثرته . فقالوا له : بل تكلم أنت . فقال :

« إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة . ثم أمر أن نبتدئ بمن خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد . فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق . ثم أمرنا أن نبتدئ بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الإنصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسَّن الحَسَن وقبَّح القبيح كله . فإن أبيتم ، فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية . فإن أبيتم فالمناجزة . فإن أجبتم الى ديننا ، خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم . وإن بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم ( أى وحميناكم ) ، وإلا قاتلناكم .

لما سمع يزدجرد هذا الكلام استشاط غضبا ، ورد ردا غليظا ، فأظهر احتقاره للعرب ، وتعجبه من تظاهرهم بهذا المظهر العظيم وهم من أفقر الشعوب وأبعدهم عن النظام .

فأجابه المغيرة بأن ما وصف به العرب من الخلل وسوء الحال هو حق إلا أنه قد

كان قبل الاسلام ، وأما بعده فالحال صار غير الحال ، ثم دعاه الى مادعاه اليه الخطيب السابق .

فغضب يزدجرد أشد الغضب ، واستدعى بوقر من تراب فقال احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن .

ثم قال ارجعوا الى صاحبكم وأعلموه أنى مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه فى خندق القادسية ، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم .

فتقدم أحد رجال هذا الوفد وهو عاصم بن عمرو وقال : أنا سيد هؤلاء ، وحمل التراب على عاتقه ، وخرج الى سعد فقال : أبشر والله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم .

فأخذ سعد فى بث السرايا للإغارة على الأطراف . وسار رستم من ساباط لمقاتلته وقدم أمامه قائدا اسمه الجالينوس فى أربعين ألفا ، وخرج هو فى ستين ألفا ، وجعل على ميمنته الهرمزان ، وعلى ميسرته مهران ، وجعل يطاول سعدا أربعة أشهر ليضجره ويحمله على الإقلاع . وكان سعد قد أعد للمطاردة عدتها ، ثم بدأ رستم فى الهجوم بأمر من يزدجرد نفسه ، فتقابل الجيشان ، فلقى خيالة المسلمين من فيلة الفرس أمرا عصيبا ، لأنها كانت تنفر أمام تلك الفيلة ، فبادرها مشاة المسلمين بالسيوف على خراطيمها وبحل أحزمتها لتند عن أصحابها ، واشتد القتال طول النهار الى الليل دون أن يبدو على أحد الجيشين تضعضع ، ثم عاد القتال من الغد وانتهى فى المساء على ما انتهى عليه بالأمس ، ثم عاد فى اليوم الثالث وانتهى على ما كان عليه فى اليومين السابقين .

فلما كان اليوم الرابع ، وكان المسلمون ليلتهم يشاغلون الفرس ، فلم تذق أجفانهم النوم . قال القعقاع بن عمرو للناس ، (وهو الذى قال فيه أبو بكر لا يهزم الناس وفيهم هذا) قال للناس : إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة فإن النصر مع الصبر . فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه ، فحمل الجيشان أحدهما على الآخر الى أن زالت الشمس (أى كان وقت الزوال) ، فتأخر الفيرزان

والهرمزان ثم ثبتا ، وانفرج القلب ، وانتهى القعقاع ومن معه الى سرير رستم ، وجاء هلال بن عقبة فضرب رستم فقتله . فانهزم الفرس شر هزيمة ، ومات منهم عدد كبير بالغ فى تقديره المؤرخون . أما المسلمون فقتل منهم سبعة آلاف وخمسمائة ، وهى من أكبر الوقائع التاريخية ، وكان هذا الفتح من أكبر فتوح المسلمين الأولين .

فأقام سعد بعد انتصاره هذا شهرين وكاتب عمر فيما يفعله ، فكتب اليه يأمره بالمسير الى المدائن وهى عاصمة الفرس ، فصدع بالأمر ، وكان ذلك فى شوال سنة (١٩) ، وقدم طليعته ، فالتقت بطليعة الفرس فهزمتها ، ثم نزلوا ببابل ، وكان قد اجتمع بها بعض فلول الفرس فهزمهم ، ثم سار سعد فالتقى بجيش فارسى فى كوثى فهزمه ، ثم سار الى بهرشير وهى بالناحية الغربية من المدائن ، فلاح لهم إيوان كسرى ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعد الله ورسوله ، وكبر وكبر الناس معه . فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ، ثم نزلوا على المدينة .

فأقام سعد أياما من صفر وهو يفكر فى كيفية العبور الى المدينة الثانية التى فيها إيوان كسرى ، فرأى أن يعبر إليهم نهر دجلة سباحة ، فاقتحموا النهر ، فقابل الفرس خيلهم بخيل مثلها فى النهر ، فالتقوا وتطاعنوا فولى الفرس الأدبار ، وتلاحق المسلمون فى النهر سباحة حتى بلغوا الضفة الثانية ، وكان كسرى يزدجرد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك ، فجلا عن المدينة بما قدر عليه من الأموال ، وتركوا من المتاع والآنية والذخائر ما لا يحصى . ولم يجد المسلمون بالمدينة إلا حرس القصر الأبيض ، فسلموا بلا قتال ، ودخل سعد إيوان كسرى ، وصلى فيه والجيش خلفه ، ولم يغيروا ما به من التماثيل ، فصلى والتماثيل تحيط به . ولما دخل القصر كان يتلو قوله تعالى : ( كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ) .

ثم شرع سعد بن أبى وقاص فى تقسيم الغنائم التى غنمها ، فأصاب الفارس اثنى عشر

ألف درهم ، وكانوا كلهم فرسانا ، وأرسلوا الخمس لبيت المال ، وفيها سيف كسرى ومنطقته وزبرجدة ، فلما رآها عمر قال : إن قوما أدوا هذا لذوو أمانة .

لما أتم سعد فتح المدائن أرسل قواده لتتبع المنهزمين ، فأرسل زهرة بن الحيوية الى النهروان ، فسلم له أهل النواحى وعاهدوه على دفع الجزية ، وأرسل سعد بن عبد الله ابن المتم الى الجزيرة ففتح تكريت والموصل ، وأرسل هاشم بن عتبة الى حلوان حيث يقيم كسرى ، وكان قد فر منها فاحتلها ، ثم هاجم الحمراء فافتتحها . وفر يزدجرد الى البلاد الصينية . وبذلك تم فتح الفرس كلها .

حقا إن هذا أكبر الفتوح الاسلامية ، بل أكبر الفتوح على الإطلاق ، فإن حربا تنتهى بنهايتها دولة عظيمة كدولة الفرس كان لها نصف السلطان فى الأرض لايوجد لها مثال فى تاريخ البشر ، إذ أن الأمبراطورية الرومانية كانت فى نزاع مستمر مع دولة الفرس ، وناهيك بالرومانيين وعلمهم بالحرب ، فلم يحاموا فى أكبر انتصاراتهم عليهم أن يحتلوا عاصمتهم ، وأن يزيلوا دولتهم . أفيشك شاك بعد هذا فى أن ذلك مصداق لقوله تعالى : ( هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ) ؟

### فتح مصر:

كان عمرو بن العاص قد وفد على مصر فى الجاهلية وعرف سهولة قيادها ، فكان يتطلع أن يعطيه أمير المؤمنين أمرا بفتحها . ففى سنة (١٩) اختلى عمرو بعمر ، وكلمه فى شأن مصر ، وهون عليه أمرها ، فتردد عمر أولا ، لأن جيوشه كانت متفرقة فى الشام والجزيرة وبلاد العجم تحارب الروم والفرس ، وهما دولتا العالم كله إذ ذاك ، ثم قبل أن يذهب لفتحها ، فجهز معه أربعة آلاف رجل ودعا له بالتوفيق .

فسار عمرو حتى بلغ الفرماء ، فقاتله بها الرومان نحوا من شهر ثم انهزموا ، فتقدم الى القواصر فافتتحها ، ثم الى بلبيس فأم دنين فمصر فافتتحها جميعا ، وكتب الى عمر يستمده

فأمده بأربعة آلاف ، وكتب اليه أنى أمددتك بأربعة آلاف رجل منهم أربعة كل رجل منهم يعد بألف : الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد .

وحدث أن المقوقس كبير القبط بمصر اتفق مع عمرو على أن يعينه على فتح مصر تخلصا من عسف الرومانيين بالمصريين، فقصد عمرو الإسكندرية حيث تقيم الجيوش الرومانية ومهرة قوادهم، فحاصرها مدة، ثم هاجمها هجوما عاما وأخذها عنوة، وبذلك تم له فتح مصر.

ثم سار الى برقة وهى واقعة بين مصر وطرابلس الغرب ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم سار الى طرابلس ففتحها عنوة ، وكتب الى أمير المؤمنين : « أما بعد فقد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية ( أى تونس ) تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا فى غزوها فعل » .

فأجابه عمر بأن يكتفى بما وفق اليه . فولى عمرو على برقة عقبة بن نافع ، وعاد هو الى مصر .

الى هنا انتهى تاريخ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبقى أن ننظر فى مقالة ثالثة فى آثاره العمرانية ، وأعماله المدنية . محمد فريد وجدى

---

# النهى عن اتباع الشهوات

قال الله تعالى عن الهالكين : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا» .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء » .

وقال عمر رضى الله عنه : اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طلاعة تنزع الى شر غاية . إن هذا الحق ثقيل مرى ( بفتح فكسر أى حميد العاقبة ) ، وإن الباطل خفيف وبى ( بفتح فكسر أى مهلك ) ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

# باب الأسئلة والفتاوى

## سنة الجمعة القبلية

ورد إدارة المجلة السؤال الآتى :

اطلعنا على مقال مسهب فى بعض المجلات تحت عنوان ( الصلاة قبل الجمعة وبعدها ) تعرض فيه كاتبه للركعتين اللتين قبل الجمعة ، وقال : إنهما بدعة لا ينبغى فعلهما ، وأطال فى ذلك .

وقد تعرض للحديث الذى رواه ابن ماجة فى سننه من أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يركع قبل الجمعة ، وطعن فيه ، مع أن مذهب الشافعى رضى الله عنه يرى طلبهما وسُنّيتهما .

والآن وقد وقفنا بين بين ، نرجو من قادة الدين أن يقولوا القول الفصل فى ذلك لنعرف ما هو الحق ، ونقف على دليل الشافعى إن كان له دليل . نرجو الإفادة قطعا للشك ، وتحقيقا للحق ، وإزهاقا للباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

ولفضيلتكم جزيل الشكر ، ودمتم للدين ؟

عبد الله العرابى
أحد قراء المجلة

## الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

قبل أن نخوض بك فى غمرات البحث والاستدلال ، يجب أن تعرف أن هنا شيئا ينبغى التنبه له ، وهو أن المسائل الاجتهادية الفرعية يكفى فيها الظن ولا ينبغى فيها التنازع ، وكل من طلب فيها الدليل القطعى فهو إما جاهل لا ينبغى أن يكون فى عداد العلماء ، وإما سيىء القصد لا يريد إلا الظهور بأية وسيلة ، وإن لبس على المسلمين ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وهذا هو الغالب على تلك الطائفة . ولذلك تراهم متناقضين ،

فترى الواحد منهم تارة من الظاهرية، وطورا من الباطنية؛ وحينا يدعى الاجتهاد المطلق فيخرج على الأئمة الأربعة، زاعما لنفسه درجة هو أبعد الناس منها؛ وتارة تراه غريقا فى تقليد ابن تيمية من فرقه الى قدمه، والمبطل لابد أن يتناقض شاء أم أبى، ولسان حاله يقول:

طورا يمان إذا لقيت ذا يمن  وإن لقيت معديا فعدنانى

ولو عقلوا لعرفوا أن الناس لا يتركون أئمتهم المشهود لهم بالخير والدين والعلم والتبريز فى كل فضيلة، ويتبعوا هؤلاء المشهود لهم بما لا نطيل القول فيه، وهو غنى عن البيان.

هؤلاء يجازفون فى كل ما يعن لهم، ولا يبالون بخرق الإجماع، ولهذا أنكروا شد الرحال لزيارته صلى الله عليه وسلم وهو مجمع عليه، ثم يزعمون بعد ذلك أنهم سلفيون أهل كتاب وسنة.

وأى شىء يريدون بعد أن عرّفنا صلى الله عليه وسلم أن المخطئ له أجر والمصيب له أجران، فلم يكتف برفع الوزر عن المخطئ بل جعل له أجرا. وقد عرف ذلك العلماء من أئمة الهدى، حتى ذهب كثير منهم الى أن الحق يتعدد تبعا لظن المجتهد، فإن الله لم يكلفه إلا بما أداه اليه اجتهاده، فكأن الحق بالنسبة اليه هو ما اعتقده، وليس المقصود من التكليف إلا تحقيق العبودية، وعدم الخروج على الله ورسوله، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها. وقد قالوا: إن المجتهد يجب عليه اتباع ظنه، ويحرم عليه التقليد. فأى شىء بقى بعد ذلك؟ ولكنهم ملبسون يريدون التهويش حبا فى الظهور، أو جاهلون لا يمكنهم التعمق فى البحث، ولا الوقوف على منازع الأئمة، ولا ما أصّله العلماء فى ذلك.

وإن من أكبر بلايانا التى نئن منها ولا ندرى منتهاها وجود طائفة بيننا لا تفهم ولا تقلد من يفهم «إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير». ولو كان عندهم أدنى شفقة على المسلمين أو إخلاص لهم لعرفوا أن الدين

النصيحة ، وأنه ليس من الدين ولا من العقل أن نعرض العامة الخوض فى الأدلة والموازنة بين المجتهدين ، فذلك ليس من شأنهم ولا هو فى متناول قدرتهم ، ولا نتيجة له إلا ضعف الثقة بأئمتهم ، وتشكيكهم فى دينهم وعقيدتهم . على أن أولئك المهوشين ليسوا فى العير ولا فى النفير ، ولا من العلماء فى قليل ولا كثير . فليس من المعقول كما قلنا أن يترك الناس ما عرفوه من مذاهب الأئمة المشهود لهم بالخير والصلاح والدين والورع والبحث والتحرى ، الى هؤلاء الذين يسيرون وراء الخيال وليس يعنيهم إلا أن يقال .

والآن نذكر لك مما استدل به الشافعى رضى الله عنه على سنة الجمعة ما يكفى بعضه للاجتهاد المعقول المقبول .

ولا نزال نكرر أن الظن كاف فى هذا الباب ، ولا يطلب غيره ، وأنه متى وصل اليه المجتهد وجب عليه اتباعه والقول به . وهاك قليلا من كثير :

فمن ذلك ما رواه عبد الله بن الزبير عند ابن حبان فى صحيحه والدار قطنى والطبرانى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مامن صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان» ومن ذلك ما رواه الطبرانى فى الأوسط «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا» ذكره العينى فى عمدة القارى ولم يعلق عليه ، وقد ساقه للاستدلال . وقال فى الفتح : روى الطبرانى فى الأوسط عن علىّ « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا» وعلق عليه بقوله : وفيه محمد بن عبد الرحمن السهمى وهو ضعيف عند البخارى وغيره . ولكن هذا الطعن الذى ذكره الفتح لا يمنع الاستدلال به ، لا لأن الجرح غير مفسر كما قال بعضهم ، بل لأن الطعن غير متفق عليه ، فإن البخارى ضعفه ، ولكن إماما آخر من أئمة الحديث وثقه وهو ابن عدى ، فيصح أن نقول : إن هذا مثل عكرمة الذى وثقه البخارى واحتج به وضعفه غيره ، ومثل سويد بن سعيد الذى احتج به مسلم وقد اشتهر الطعن فيه . وبالجملة فحديثنا هذا غير

متفق على تجريح رواته ، فيصح الاحتجاج به عند من لا يرى تجريح محمد بن عبد الرحمن السهمي المذكور .

وعن ابن عمر أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين ، ويحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك . رواه أبو داود . وقال العراقي : إسناده صحيح .

وقال المنذري : أخرجه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة من وجه آخر بمعناه .

وروى الترمذي: «من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة بنى له بيت في الجنة : أربعا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر » ونحوه في مسلم من حديث أم حبيبة ، غير أنه لم يذكر هذا التفصيل .

وفي رواية عن أم حبيبة بنت أبي سفيان : « ما من عبد مسلم توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى له بيت في الجنة » .

أفترى أن ذلك مطلوب كل يوم إلا يوم الجمعة الذي تتأكد فيه الطاعة ، ويزداد فيه الحرص على العبادة وعمل الخير ؟ !

وقد صرح الحديث بالتعميم فقال : كل يوم ، كما سمعت . وفصل الترمذي في روايته المتقدمة هذه الركعات غاية التفصيل . ورواية الترمذي وإن لم يذكر فيها لفظ كل يوم ففيها ذكر النكرة في سياق الشرط وهو يفيد العموم ، ولا معنى لإخراج يوم الجمعة الذي هو أفضل الأيام وأولاها بالصلاة والعبادة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الامام من خطبته ثم يصلي معه ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » الحديث . رواه مسلم . وجاء في بعض الروايات عند الإمام أحمد بلفظ : « فإن لم يجد الإمام خرج ، صلى ما بدا له ؛ وإن وجد الإمام قد خرج ، جلس فاستمع وأنصت حتى يقضي الإمام جمعته » الحديث .

فجعل الغاية خروج الإمام وهو لا يخرج إلا بعد الزوال . وقال أبو عيسى الترمذى: إن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان يصلى قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا . وإليه ذهب سفيان الثورى وابن المبارك . وروى الشافعى عن ثعلبة بن أبى مالك عن عامة الصحابة أنهم كانوا يصلون نصف النهار يوم الجمعة . الى غير ذلك وهو كثير . وبعض هذا كاف للاستدلال على ما ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه .

وهنا روايات ضعيفة لا بأس أن نسمعك شيئا منها وليس التعويل عليها ، فإن عندنا غيرها على ما سمعت . ولاشك أن كثرة الروايات تفيد قوة الظن ، ويؤكد بعضها بعضا . ولا داعى لأن نقول إن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال ، فالأمر هنا أعظم من ذلك . ولو لم يكن للشافعى إلا قياس الجمعة على الظهر ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « بين يدى كل فريضة صلاة » وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه وغيره لكفى وشفى ، وقضى على تلك الجعجعة الحمقاء . وهاك بعض الروايات الضعيفة التى وردت فى الموضوع :

روى الشافعى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس إلا يوم الجمعة . ولكن فى إسناده ابراهيم ابن أبى يحيى وإسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، وهما ضعيفان . ورواه البيهقى من طريق أبى خالد الأحمر عن عبد الله شيخ من أهل المدينة عن سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه . ورواه الأثرم بسند فيه الواقدى وهو متروك . ورواه البيهقى أيضا بسند فيه عطاء بن عجلان وهو متروك أيضا . وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم كره الصلاة نصف النهار إلا يوم الجمعة وقال : إن جهنم تسجر إلا يوم الجمعة . وفيها ليث بن أبى سليم وهو ضعيف . ومن ذلك حديث ابن ماجة الذى فيه بقية بن الوليد وغيره من الضعاف . فهذه الروايات الكثيرة يقوى بعضها بعضا وإن كان فيها مقال . وقد تقدم لك ما يصح الاعتماد عليه من غير هذه الروايات .

والخلاصة أن الصلاة قبل الجمعة مرغب فيها عموما وخصوصا . وقد قال بعض العلماء : لم يتمسك المانع من الصلاة قبل الجمعة إلا بحديث النهى عن الصلاة وقت الزوال ، وهو مع كون عمومه مخصصا بيوم الجمعة ليس فيه ما يدل على المنع من الصلاة قبل الجمعة على الإطلاق ، فإن غاية مافيه المنع فى وقت الزوال وهو غير محل النزاع . وعلى كل حال فما تقدم كاف للمنصف ، ولا حاجة للإطالة فيه .

وبعد : فهؤلاء الناس إنما يقصدون التلبيس على المسلمين ، وإيقاع الشقاق فيما بينهم ، بتفريق كلمتهم ، وفصم عرى وحدتهم ، خبا فى الظهور . فعلى ولاة الأمر أن يردعوهم عن ذلك بالزجر البليغ ، والتأديب الشديد ، كما كان يفعله الحكام فى العصور الأولى ، وكما تفعله الحقانية الآن مع من يحكم برأيه ، ويقضى بمذهبه الخاص . فعلى الوعاظ وأئمة المساجد ألا يتعرضوا لمن يقلد إماما من الأئمة الأربعة ، ويدعوه وما اختار لنفسه من تلك المذاهب التى تلقاها المسلمون بالقبول ، وقامت البراهين على أنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله .

وإنى مالكى والمالكية لا يرون سنة الجمعة . ولكننى لا أحب الخروج على أئمة الهدى وورثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسائل الاجتهادية يكفى فيها هذا وأقل من هذا على ما شرحنا لك . وما من أمة لا تعظم أئمتها ولا تحترم علماءها وعظماءها إلا ذهب ريحها وحق القول عليها . نسأل الله أن يقينا شر مضلات الفتن ، ومزالق الأهواء بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى

---

# ذم التنافس فيما يفنى

قال الفارابى :

| | |
|---|---|
| ينافس هـذا لهذا على | أقـل من الكلم الموجز |
| محيط السموات أولى بنا | فماذا التزاحم فى المركز |

# شهادة كبار الفلاسفة للاسلام

## برنارد شو يعتقد بأن أوربا ستدخل فيه

---

برنارد شو الكاتب الفيلسوف الانجليزى لا يحتاج لتعريف ، فهو ليس برجل عظيم فحسب ، ولكنه فى طليعة الأفذاذ ، والعالم كله يرقب حركاته وسكناته ، ويهتم بقراءة أخباره . ومن أخص مميزاته آراء جريئة يبديها بصراحة لا يستطيعها غيره . وهو ممن يعتقد عقيدة راسخة بأن الأمة الإنجليزية ستدخل فى الديانة الإسلامية قبل أن ينتهى هذا القرن .

ولقد وقفنا على حديث له فى رسالة انجليزية تحت عنوان « نداء للعمل » كشف فيها القناع عن عقيدته فى صلاحية الإسلام لجميع الأمم ، وفى كل الأطوار التى تدخل فيها فى أى مكان وزمان .

فقال فى ذلك الحديث أثناء سياحته فى بمباى :

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس .

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوءات كبار الرجال . ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . وقد صور أكليروس القرون الوسطى الاسلام بأحلك الألوان ، إما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم .

« ولقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح . ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية . وإنى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث

لنجح فى حـل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هـو فى أشد الحاجة إليهما . ولقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال كارلايل وجوت وجيبون القيمة الذاتية لدين محمـد ، وهكذا وجد تحول حسن فى موقف أوروبا من الإسلام . ولـكن أوروبا فى القرن الراهن تقدمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبدأت تعشق عقيدة محمد . وفى القرن التالى ربمـا ذهبت الى أبعد من ذلك، فتعترف بفائدة هذه العقيدة فى حل مشاكلها . فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتى . وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ومن أهل أوروبا قد دخلوا فى دين محمد ، حتى ليمكن أن يقال إن تحول أوروبا الى الإسلام قد بدأ » انتهى .

يرى القارئ مما مر أن الفيلسوف الانجليزى برناردشو يعتقد عقيدة راسخة فى أن أوروبا قد بدأت تتعشق الإسـلام ، وأن القرن الحادى والعشرين لن يمضى حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينا لها ، وعهدت اليه فى حل مشاكلها .

وأحسن ما قاله فى حديثه هـذا أن الاسـلام هـو الدين الوحيد الذى يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية ، ويستطيع أن يكون جذابا لجميع أجيالها .

فهذه الأقوال لا تصدر إلا من رجل يكون قد عرف حقيقة الإسلام ، وشعر كيف يؤثر بجماله على القلب ، ويتسلط بجـلاله على النفس . وليس برناردشو أول من شعر بهـذا ، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم جوت الفيلسوف الألمـانى المشهور المتوفى سنة ( ١٨٣٢ م ) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمـان علما وعقلا وبُعد نظر . يؤثرعنه أنه نظر فى الإسلام فأعجبه فقال : «إذا كان هذا هو الإسلام فنحن إذاً فيه» . وليس يخفى أن الألمـانيين فى ذلك العهد كانوا مظهر الثقافة العلمية بكل ما فيها من مفيد وطريف .

مما يلفت نظر الباحث الاجتماعى فى حديث الفيلسوف الانجليزى قوله : إن أوروبا ربمـا اعترفت بالعقيدة الإسـلامية طلبا لحل مشاكلها ، وقوله قبل ذلك : إنه لو تولى

رجل على مثل صفات محمد صلى الله عليه وسلم دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما ، فهذه الأقوال ليست ملقاة على عواهنها ، ولكنها ثمرات بحث وتحليل وتفكير، فإن القرآن الكريم أرصد لكل مسألة من مسائل الاجتماع حلا معقولا لا يدع للإفراط والتفريط سبيلا الى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك النظام الإلهى على الآحاد الذين اتبعوه ، فألّف منهم أمة ما فتئت تنمو وتشتد وترقى الدرجات العلى فى كل مجال من مجالات النشاط العقلى والمادى ، حتى انتهت اليها زعامة العالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح فى معالجة أدواء العالم الحديث رجل يقوم على قدم محمد ، فيطبق عليها ما أرصده القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

هذا كلام لا غبار عليه ، وقد رددناه فى افتتاحياتنا هنا وقرنّاه بالأدلة العامية المحسوسة . فاذا صح هذا على الأمة الإسلامية الأولى ، وصح على الأمم الأوربية الحديثة ، أفلا يكون أصح على الشعوب الإسلامية الراهنة ، فتسترد به مجدها الضائع ، وتستعيد فتاءها الزائل، وتصبح جديرة بالانتساب لأسلافها الأولين ؟ وهذا ما رددناه كثيرا ونردده فى كل فرصة ، وبالله التوفيق .

إن أكبر المسائل الاجتماعية التى تهدد مدنية أوروبا فى العصر الراهن المسألة الاقتصادية ، فإن النظام الرأسمالى المتطرف الذى يقوم عليه الغرب قد استدعى فى الأزمنة الأخيرة أن يتولد فى السواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لا تقف مطالبها عند حد ، وما نجمت المذاهب الاشتراكية التى تبنى نظرياتها على الأصول الاقتصادية إلا لتترجم عن هذه الميول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب فى جمع كلمة العمال والفقراء وتعبئتهم تعبئة صالحة للنضال والثبات ، مما كان أثره تحسين حالة المحرومين من المال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهم حقوقا على المجتمع أكبر مما رضخت لهم به تلك الحكومات . ولما كان من شأن الأمراض

الاجتماعية أن تستشرى وتعضل إذا لم تستأصل جراثيمها ، فإن هذه المذاهب الاشتراكية بما تطرفت فى مزاعمها ، وتبسطت فى مدعياتها ، قد استحالت الى براج انقلابات خطيرة تهدد وطائد المجتمعات بالدك عند سنوح أقرب الفرص ، وقد أفضى التناهى ببعضها الى الشيوعية البحتة .

هذه حالة تعتبر على أقصى حد من الخطورة ، وتؤدى الى تداعى بناء المدنية الغربية وسقوطها عند أول صدمة ، فإذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر . وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الإسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرنا قبل أن توجد المجتمعات الأوربية الحالية ، وقبل أن تستحيل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة ؟

نعم : لقد شرع الإسلام للعالم نظاما تعاونيا حكيما فيه كل ما فى المبدأ الرأسمالى من حسن ونافع ، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب ، فجاء نظاما حاصلا على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشىء من مساوئهما .

فإذا كان النظام الرأسمالى يغمط حق العمل فى الإنتاج ، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعى العام ، وإذا كان المذهب الاشتراكى يتغابى عن مكان رءوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى للأمم ، ويرى أن من الواجب هدمه ، وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعى العام ، مغضيا كلاهما عما يبتنى على تطرفهما من النتائج الخطيرة ، فإن الإسلام لم يغفل ذلك أصلا ، فأتى بنظام حكيم يقر رءوس الأموال الفردية من ناحية ، ولا يغضى عن المحرومين منها ، فيفرض لهم حصة سنوية منها من ناحية أخرى . فكان هذا الحل كما ترى وسطا جامعا لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين ، وخالصا من عيوبهما ، تنحسم به مادة المتنازعين على الحياة ، ويبطل تناحرهما عليها ، ويحل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة ، ويسود بين فريقيها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية ، ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الإسلام ركنا من أركانه .

فماذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض فى مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها ؟ وماذا يبغى صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله فى مقابل حصة من ربحه يؤديها للحكومة تضعها مواضعها ، مما نص عليه الكتاب فى آية الزكاة المعروفة « إنما الصدقات (أى الزكاة المفروضة) للفقراء والمساكين والعاملين عليها» الخ الآية الكريمة ؟

هذا النظام لايدع لأحد الفريقين المتنابذين سلاحا يشهره فى وجه مناظره ، ولايترك له طريقا الى ملاحاته.

فهذه علة من العلل التى يعنيها الفيلسوف (برنارد شو) ويقول إنها تشفيها متى أخذت أوروبا بالإسلام وعملت به . وفيها علل أخرى لكل منها دواء خاص فى الإسلام لايتسع المقام للكلام عنها فى عجالة واحدة ، فندخرها لفرص أخرى إن شاء الله .

وبعد : أفلا يعتبر هذا كله مصداقا لقوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ؟

محمد فريد وجدى

---

# النهى عن اتباع الهوى

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : أخاف عليكم اثنين : اتباع الهوى ، وطول الأمل . فان اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسى الآخرة .

وقال الشعبى : إنما سمى الهوى هوى لأنه يهوى بصاحبه .

وقال بعض الحكماء : من أطاع هواه ، أعطى عدوه مناه .

وقال غيره : العقل صديق مقطوع (أى مهجور) ، والهوى عدو متبوع .

وقال هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى ولم يقل غيره من الشعر :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى     الى كل ما فيه عليك مقال

# مذهب النشوء والارتقاء في الميزان

## اتضاح وهن أصوله وضعف أسانيده

نتابع اليوم الكلام في دحض مذهب دارون معتمدين على ما كتبه عنه الأستاذ الدكتور ( جوستاف جوليه ) في كتابه ( من لا شاعر الى شاعر ) .

ألمّ الدكتور المذكور في فصله الثالث باكتشاف جديد للأستاذ ( دوفريس ) الألماني في الاستحالات الفجائية لأنواع نباتية وحيوانية ، وهو اكتشاف يهدم مذهبي دارون ولامارك من أساسيهما ، فإنهما يفترضان أن هذه الاستحالات لا تكون إلا يسيرا يسيرا وفي آماد طويلة . حتى اضطر الأستاذ لودانتك مدرس البيولوجيا في جامعة السوربون أن يقول في كتابه ( أزمة مذهب التحول) : إن هذه الاكتشافات لا تدحض مذهبي دارون ولامارك فحسب ، بل ومذهب التحول الطبيعي نفسه .

والعجيب أن مسألة الاستحالات الفجائية للأنواع الحية قد رآها وأعلنها رجال من كبار الطبيعيين مثل ( جوفروا سانتيلير ) ، ولكنها لم تتغلب على الجمود العامي ، فبقيت نظرية الاستحالات التدريجية البطيئة سائدة على العقول .

ولكن بفضل هذا الاكتشاف الأخير قد تنبه الناس الى هذا الأمر وراجعوا ما دوّن من المعارف الحفرية ، وفيها أن جميع الأنواع النباتية والحيوانية قد وجدت من طريق الفجاءة لا التطورات التدريجية البطيئة . وقد شوهد أن الحيوانات من أول ظهورها تكون حاصلة على الإلهامات الضرورية لحياتها كاملة غير منقوصة ، وأنها تحفظها بعيدة عن التغيرات ما دامت أنواعها موجودة .

وقد ثبت أن الصفات الطبيعية والإلهامات تثبت في الأنواع الحية ولا تتغير . وهذه من أكبر الدلائل على دحض مذهب النشوء والارتقاء ، لأنه يقتضي استمرار تحولها تحت تأثير الفواعل المحيطة بها ، فإذاً قد ثبت أن الأنواع نشأت فجأة ولم تدخل

فى أدوار تدريجية طويلة . وعليه فقد أصبحت نظرية دارون فى الانتخاب الطبيعى ونظرية لامارك فى تأثير البيئة لا أساس لها على الإطلاق .

ولقد يسر الله هذه المشاهدات العلمية ، فجعل فى مقدور كل إنسان أن يراها ، فلا يبقي لديه ذرة من شك فى أن كل ما قيل قديما وحديثا فى تفسير حدوث الأنواع وتولد بعضها من بعض خيال فى خيال . فإن الحشرة بظهورها فى أول أدوار الخليقة ، وثبات أنواعها على ماهى عليه طوال تلك الآماد الى اليوم ، تشهد بأن كل مايقال عن التحولات الدائمة ، والتغيرات البطيئة المستمرة ، فى أدوار حياة الأحياء ، ليس من الحق فى شىء .

وهذه الحشرة ذاتها بتخالقها هى نفسها فى حالها النهائية للدودة التى كانت أصلالها تشهد بأن العوامل التطورية التى استند عليها لامارك ودارون كلها أباطيل ليس لها نصيب من الواقع .

ولأجل فهم قيمة هذه الشهادة من العلم ، ومكانها من دحض جميع مذاهب النشوء التدريجى البطىء ، نلفت نظر القارىء الى حياة أية حشرة ، ولتكن دودة القطن التى قد لا يوجد فى مصر من لم يرها ولو مصورة ، فإن هذه الحشرة تبتدىء وجودها بحالة جنينية مشمولة فى بيضة صغيرة جدا ، فلما تخرج منها بعد استيفاء أيامها تكون على صورة دودة ، فتحتاج وهى فى تلك الحالة للتغذى من الأوراق الخضراء التى تولد على سطحها فتسبب للقطن خسارة تقدر فى بلادنا بملايين الجنيهات . فلما تم هذا الدور من حياتها تنسج على نفسها تابوتا حريريا يسمى شرنقة ، مستمدة خيوطه من سائل أوجده الخالق فيها يتجمد بمجرد ملامسته للهواء . هذا السائل مشمول فيها فى كيس يقبل التقبض بالإرادة ، ومتصل بالخارج بثقب صغير جدا . فإذا أرادت الحشرة أن تنسج تلك الشرنقة على نفسها ضغطت ذلك الكيس فيخرج منه ذلك السائل على صورة خيوط دقيقة جدا تجف وقت خروجها ، فتنسج منه على نفسها تابوتا حريريا وتسده من جميع جهاته ، ثم تقيم فيه مدة ، وفى نهايتها تثقب ذلك التابوت من أحد طرفيه وتخرج منه على صورة

فراشة تطير من شجرة الى أخرى ، مخالفة فى كل جزء من أجزائها للدودة التى كانت أصلا لها ، ولا تمت اليها بصلة فى ناحية من نواحيها . فكيف يتم لها هذا التطور فى مدى الأيام التى تقيمها داخل ذلك التابوت ؟

عنى العلماء بهذا الأمر جد العناية ، فشقوا شرنقة لإحدى الديدان فى أيام متوالية ، فرأوا أنها عند ما تدخل الى شرنقتها يبتدىء جسمها فى الانحلال ، ولا يزال ينحل حتى يستحيل كله الى سائل لزج أكثر كثافة من الماء ، ثم يأخذ ذلك السائل فى التكاثف والتشكل يسيرا يسيرا حتى ينقلب الى فراشة تامة الخلقة ، ذات عينين براقتين وجناحين بديعين وجسد مخالف فى كل أجزائه لجسد الدودة ، وأرجل دقيقة لم تكن لها ، فلا تلبث هذه الفراشة بعد تمام تطورها هذا أن تثقب شرنقتها من أحد طرفيها وتخرج منها طائرة مرحة تتطلب التلاقيح ، ثم تبيض على أوراق شجر القطن ، فتصادف بويضاتها على هيئة بصاق مخاطى على تلك الأوراق يسميها الفلاحون ( باللاطع ) ، فإذا بقيت على حالتها ولم تُبَد خرجت من كل بويضة منها دودة صغيرة تغتذى من تلك الورقة فلا تبقى منها ولا تذر .

لما وقف الباحثون فى حياة الحيوانات على هذه الأطوار المتوالية ، والاستحالات العجيبة ، أدركوا أن كل ما يقال عن الانتخاب الطبيعى وفعل البيئة ، والعوامل المختلفة ، لاحقيقة له ، وأن الخليقة توجد وتتطور وتبلغ كمالها على نظام اختص الخالق الحكيم بعلمه وليس فى قدرة العقل أن يصل اليه .

فانظر كيف أراد الله أن تكون الحشرة الحقيرة هى التى تسقط صروحا شامخة من البحوث والمذاهب أقيمت لتفسير وجود الأنواع الحية وتسلسلها بعضها من بعض ، تلك المذاهب التى كانت سببا فى تضليل من لا يحصى لهم عدد من خفاف العقول . فإن تعليل قيام الخليقة على هذا النحو من الترقى التدريجى قد جر ضعاف العقول الى عقيدة أن العالم مستغن عن مدبر ، فتمردوا على الأديان وعلى كل ما يثبت الروح من

المباحث العلمية ، منتبذين ناحية خاصة بهم ، توهما منهم أنهم بما حصلوه من إدراك هذه الأسرار صاروا أمة وحدهم ، فأصبحوا بعد هذا الاكتشاف العلمى وما سبقه من الاكتشافات الداحضة لمذاهب التطور ، حيرى لا يعرفون لهم مذهبا يقومون عليه .

ولعل قارئا يسألنى : ما وجه تأثير حياة الحشرات فى دحض مذاهب النشوء والارتقاء ؟ فنجيبه بأن وجهه أن هذه المذاهب تفترض أن الكائنات الحية قد تولد بعضها من بعض بتأثير البيئة كما يقول لامارك ، أو بتأثير الانتخاب الطبيعى كما يقول دارون ، فى آماد طويلة لا يحصيها العد ، فجاءت الحشرة فنقضت هذه الأقاويل المنمقة كلها بحالها الذى يمكن أن يراه كل أحد . ألا يراها تستحيل من دودة الى فراشة بعد أن ينحل جسدها الى سائل ، فيفقد بذلك كل تركيب عضوى ، ثم يعود فيستحيل الى فراشة ليس بينها وبين الدودة الأولى أى شبه ؟ كل ذلك فى أيام معدودة ، فما قيمة كل ما ذكره أصحاب مذاهب النشوء والارتقاء من التعليلات التى فتنت عقول كثير من الناس نحو قرن ونصف قرن من الزمان ؟ .

فاذا أردنا أن نطبق على الاستحالة التى دخلت فيها الحشرة مذهب لامارك أو دارون ، لاضطررنا أن نفترض لها عشرات الألوف من السنين على اعتبار أنها ممكنة فى مذهبهم ، فما ظنك وهى غير ممكنة فى نظرهم ، لأن الترقى لديهم إنما يكون بحدوث تحسينات فى ذات الأعضاء الموجودة ، وظهور أعضاء أخرى لم تكن موجودة من قبل ، ولكن مع حفظ التناسب بين أصول تلك الأعضاء وما آلت إليه ، أو ما زاد عليها من الأعضاء الجديدة . أما الاستحالات المنقطعة الصلات ، والتطورات غير المتناسبة ، كما هو بين الدودة والفراشة ، فلا تنطبق على أصول مذاهب النشوء والارتقاء ، وتعد فى نظرها مستحيلة الحصول .

وبعد : فان كل هذا الجهد من رجال العلم موجه لمعرفة سر قيام الخليقة وتفسير تولد

الأنواع النباتية والحيوانية، وهو مطلب مستحيل التحقق فيما نرى . ألم ترأن هؤلاء الرجال كلما تخيلوا مذهبا من تلك المذاهب ، وتوهموا أنهم قد بالغوا فى بيانه ودعمه على أصول من المحسوسات ، أتاهم من تلك المحسوسات نفسها ما ينقضه ، ويجعل القول به منزلة لايصح ارتكابها ؟ فمسألة تأثير البيئة فى تحويل الكائنات وهى التى ابتدعها الأستاذ لامارك الفرنسى فى القرن الثامن عشر صادفت من الرواج حدا بعيدا جدا ، وصارت حديثا طريفا للناس يلوكه منهم كل عالم ومتعالم ، ويكتتبه كل باحث وخابط ، حتى نبغ دارون فأذاع مذهبا نقض به نظرية تأثير البيئة نقضا ، وجعله من العوامل الثانوية فى إكساب الأحياء صفات جديدة ، ورأينا نظرية الانتخاب الطبيعى قد أوتيت سلطانا على العقول لم يكن لنظرية قبلها ، ففتنت بها افتتانا لم يعهد مثله لمذهب من المذاهب الفلسفية ، وطبقت هى والأسس التى صحبتها على كل المحاولات العقلية للناس ، فكنت ترى المشترع والمؤرخ والمتطبب والأديب وغيرهم يستمدون من أصول مذهب دارون ما يظنون أنه يجعل لمباحثهم أصولا راسخة من صميم المباحث الفيزيولوجية والبيولوجية . ثم ما هى إلا جولة من جولات العلم حتى تكشف لهم أن هذا المذهب كسابقه لا يستند إلا على خيال محض ، وقد ظهرت دلائل محسوسة تجعل استمرار القول به ضربا من العبث ، ومتى تقدم الناس فى فقه الكون تبين لهم أن هذه المذاهب التى كان لها السلطان المطلق على العقول فى أزمانها تدل على عقليات ساذجة كانت لآبائهم على نحو ما نحكم به نحن حين نقرأ مذاهب قدماء الماديين فى خلق الكون وإيجاد كائناته . فسبحان الذى أعجزت آياته العقول ، وملأت بعظمتها العيون والقلوب : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) م

*محمد فريد وجدى*

# أزمة الزواج وعلى من تقع تبعتها

قال الله تعالى : ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) ، وقال جل شأنه : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) .

الزواج مبدأ تكوين الأسرة ، ومدار استمرار العمران ، وعليه التعويل فى بقاء الكون ونمو الأمم . عون على نظام الحياة ، باعث للهمم الى العمل ، وسيلة لهناءة المعيشة وجعل الحياة سعيدة . وحسبك منه أنه قاطع لجرثومة الفساد فى الأخلاق ، وعون على صون الشرف والأعراض ، وقاطع لدابر الشرور والخصومات ، والعداوات بين الأسر والجماعات ، بل هو فاتح للتواد والتحاب بين الناس أسراً وأفراداً . فكم من شخص كان فذا فى حياته لا نصير له ولا عضد ، فكان بالمصاهرة عزيز الجانب ، مخطوب المودة محفوظ الغيبة ، كثيرا بالمصاهرة ، عزيزا بما استحدث من أسرة ، وبمن انضم اليه من جماعة . وكم ترى من خامل النفس ميت العزيمة متراخى الهمة ، قد اشتد بالزواج أزره ، وانبعثت من رقدتها همته ، وتحركت نحو العمل عزيمته ، وأصبح فى الحياة عضوا عاملا نشيطا يسعى ويجد ، ويعمل ويكد ، لأن الزواج أشعره بواجبات كان فى غفلة عنها ، وناط به مصالح كان لا صلة بينه وبينها ، فتكسب أمته من نشاطه وحياته العملية أكثر مما تكسبه منه من أبناء وذرية . ولا تسل عن حفظ المرء صحته بالزواج ، سواء من جهة ابتعاده عن الخنا الذى يجر الى شر الأمراض ، ومتعاصى الأدواء ، أم من جهة انتظامه فى معيشته على الوجه الذى أعد له ، فيستكمل نظامه الحيوى الذى عليه مدار بقاء الفرد وبقاء النوع على وجه لا غبار عليه ، ولا خوف منه ولا خطر فيه . فاذا ما رأى بعد

ذلك منزله وقد عمر بالأبناء والبنات ، ودبت فيه روح الحياة الجديدة ، فيصبح ويمسى يشاهد من نعم الله عليه ما يشرح صدره ، ويقر عينه ، ويدخل السرور الى قلبه ، ويزيل الهموم عن صدره ، ويبعث الحياة جديدة فى دمه ، سمت روحه وعات نفسه ، وأصبح شعوره قويا بمعنى الحياة وسموها ، وهنا يجد النشاط الى نفسه أقوم سبيل ، وينفتق فكره عن وسائل الترقية فى الأعمال الحيوية لأمته ، لا لشخص أمته ، بل لأنه يرى فى خدمته لأمته الوسيلة الوحيدة لخدمة أمته له ، وهل الرزق إلا قيم الأعمال التى يقدمها المرء للمجموع ، فيأخذ ثمنها من المجموع على حسب قيمة ما أدى اليه ؟

كل هذا إذا أضفت اليه السلامة من الطغيان ، ووساوس الشيطان ، ومعصية الرحمن ، والوقوع فى الخسران ، وجدت الأمر أعلى من أن يتنازع فيه ، وأكبر من أن يستهان به ، فكيف وقد دعت اليه الطبيعة السليمة ، بل يكاد يكون مغروسا فى بعض الفصائل الحيوانية بالفطرة .

إذا كان الأمر على هذا الوجه من الوضوح والخطورة ، فما لنا نرى أزمة الزواج قد استحكمت حلقاتها ، وشاع بين شبابنا — وبخاصة فى المدن العامرة — الإعراض عن الزواج ، بل التبرم به والتأفف منه لمن تزوج ، والفرار والخوف منه بالنسبة لمن لم يتزوج ؟ إنه لأمر عجب ، ولكن ما من حدث إلا وله سبب . وإنا نريد أن نعرض لشرح تلك الأسباب بحسب ما نستطيع ، وإن كانت أسباب ذلك من التنوع والتفرق والكثرة بحيث تشذ عمن أراد الإحاطة بها . ولعلنا نوفق للإلمام بأهمها وأكثرها شيوعا وأعمها أثرا . ولنحصر الأسباب الآن فى أربعة :

(١) انحطاط الآداب .

(٢) التغالى فى المهور والإسراف فى الجهاز .

(٣) تراخى المودة الزوجية بسبب إعنات النساء للأزواج فى السرف والبذخ وشتى المطالب .

(٤) التطلع لسعة الحياة المادية ومحاولة ضمان ذلك للذرية .

السبب الاول انحطاط الآداب ، ولعل ذلك أهم الاسباب :

من القواعد الاجتماعية المطردة ولوع الأمم المغلوبة بمحاكاة الأمم المتفوقة في عاداتها ومقوماتها مهما كانت قبيحة أو مشوهة أو منكرة . وقد كانت أسباب وعوامل أدت الى أن تكون للأمم الغربية حضارة مادية قوية ذاقوا لذتها ، فعكفوا عليها وتوسعوا فيها ، فجنوا منها ثمارا لا يستهان بها ، واستخرجوا من كنوز الأرض والقوى التى بثها الله فى الكائنات ما شرح قوله تعالى : « خلق لكم ما فى الأرض جميعا » شرحا باهرا ، فكانوا بحق أساتذة أهل العصر الحاضر فى اجتناء الثمار المادية ، واستخدام الأسرار الكونية التى رفهت الحياة وسهلت كثيرا من مستصعباتها ، فبهرت الأمم لما دان لهم من هذه المستكشفات والمخترعات ، حتى نسوا ما جاء عن طريق الشرق من حضارة روحية ومدنية معنوية كان لها أعظم الأثر فى سعادة البشر .

إن الحضارة نوعان ما فى ذلك شك : حضارة روحية قوامها تصفية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وبث الفضيلة ، ونشر التعاطف ، والتودد بين الناس ، والسمو بالنفس الإنسانية الى المستوى العظيم اللائق بها ، وهو إخلاص العبودية لله ، والتحرر عن الرق لكل ما سواه ، وتعديل مزاج قوتيها الشهوية والغضبية ، حتى تسير على قانون العدل فى كل شئونها ، ودفعها الى العلم والحكمة لتحيط بما به سعادتها فى الدنيا والآخرة . وهذا النوع من الحضارة قد استأثر به الشرق ، مهبط الشرائع ، ومبعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . والنوع الثانى الحضارة المادية وقوامها استنباط الأسرار التى بثها الله فى المادة وهيأها لنفع الانسان فى هذه الحياة : من آثار البخار والكهرباء ، والآلات السريعة الأعمال ، والدقيقة الآثار ، وما يلتحق بها أو يتفرع عنها . وأستاذ هذا النوع فى عهدنا الحاضر هو الأمم الغربية من غير منازعة ولا إنكار .

وإن السعادة الكاملة فى هذه الحياة الدنيا ورغد العيش للنوع الإنسانى مرتبط

بهذين السببين بدون شك . ولكن أيهما ألزم لهناء الحياة وسعادة المعيشة ؟ للجواب عن هذا يصح أن نتصور انفكاك أحد السببين عن الآخر ، فلنتصور الأمم فقدت مظاهر تلك المدنية المستحدثة ، فلم تتمتع بالقطار السريع ، ولا بالضوء الكهربائى ولا بالطرب للحاكى ( الفونغراف ) وحرمت تسجيل صورها بالمصور الشمسى ( الفوتغراف ) ولم يكن لديها من آلات الجراحة الدقيقة أو أجهزة الأشعة الكاشفة أو الوسائل المدمرة فى الحروب الفاتكة فى النفوس : من غازات خانقة ، ونسافات وطيارات، وما يتصل بذلك . نتصورها حرمت ذلك كله ، ولكنها ساد بينها الوئام والمحبة والقناعة ، والثقة والتراحم والمعاونة ، سادها الإخلاص لله فى العبادة ، ورضيت بميسور الرزق ، مع ترقية نفسها وأبنائها فى الأخلاق والآداب . ثم نتصور الأمم مرة أخرى قد أخذت بأكبر قسط من هذه الحضارة المادية والمستحدثات التى تمخض عنها هذا الزمان الحاضر ، ولكنها حرمت صفاء النفوس بين أفرادها ، وحرمت شيوع الأمانة فى معاملتها ، واستفاض الكذب فى مخاطبتها ، وغلبت شهواتها واسترسلت فى أحكام غضبها ، ولم يردعها الخوف من ربها ، وكان الحكم فيها لقويها على ضعيفها ، ولم ينتصر لمظلومها من ظالمها ، فأى العهدين أحق بأن يكون عهد سعادة وحياة ناضرة ؟ إنا لا نشك فى أن الكفتين غير متوازيتين ، وأن الأثرين غير متكافئين ، وأن الانسانية قد استفادت من الشرق ما لا غنى لها عنه ، وقد أخذت من الغرب ما فتح عليها باب شر فى الحياة لا منتهى لأمده ولا وصول لحده ، فاندفع بالانغماس فى شهواته والمسارعة لرضا نفسه بشكل لا يبقى على الهناءة .

وإن من عرف حياة المترفين المستغرقين فى تتبع مشتهياتهم ، يجدهم قد وصلوا الى حالة ضاع معها الشعور بلذة ما كانوا ينعمون به ، والتمست أذواقهم طعوما أخرى أشد لذة مما هم فيه ، فإذا أعوزهم ذلك عادوا الى بعض ما كانوا يأنفون منه كأنهم يحاولون تجديد

أذواق ماتت عندهم، فإذا فاتهم مايؤملون عادوا بحسرة وتنغيص . وخذ لذلك مثلا بني إسراءيل إذ سئموا المن والسلوى، والتمسوا البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل، تعرف حال أولئك المنغمسين ، فقد أصبحت الأطعمة الفاخرة واللذائذ النادرة عندهم مألوفة تافهة ، بل مسئومة مملولة كالمن والسلوى عند بني إسراءيل . فما يظن لذة عندهم ويتوهم أنهم به منعمون، هم في الحقيقة به برمون ، ومنه متململون .

هـذا هو شأن الانغماس في المشتهيات والاستغراق في اللذائذ ، يصل بصاحبه الى درجة أن يضعف الإحساس بها حتى يتلاشى وحتى يسأم ويمل . فإذا أضفت الى ذلك أن هذا المنغمس يستولى عليه الضعف في عزيمته ، وتصبح همته واهنة واهية، كانت الخسارة فيه أشـد والمصاب به أتم . ولقد قال بعضهم : الترف مرض اختياري تجلبه النعم ويأخذه من يشاء . فإذا كان هذا قصارى الثمرة المستفادة من حضارة الغرب تجدها قد آلت بنفسها الى أنها شر ونقمة ، بدل أن تكون خيرا ونعمة، فكيف إذا ضممت اليها الحرمان من تلك الفضائل الروحية ، والمزايا النفسية ، والآداب الشرعية ، التي تنهض بالنفس الى المستوى الرفيع ، وتسمو بها الى أعلى عليين ، وتجذب أطراف الإنسانية بعضها الى بعض حتى تنظمها في سلك التواد والتراحم ، والتعاطف والتعاضد ، وتجعلها كأعضاء الجسم الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

لقد استطرد بنا الحديث حتى كدنا نبتعد عما سيق الكلام له ، وعذرنا أن المقارنة بين الشرق والغرب وأيهما أعود على الإنسانية بالخير والمنفعة مما خفي على الكثير حتى من المفكرين والمتصدرين للزعامة والزاعمين أنهم هداة قادة، فقد اغتروا بتلك الآثار الخلابة، وأسلموا عقولهم وأفكارهم لأصحابها ، ووقفوا جهودهم على تأييدها والدعاية الى التمسك بأهدابها، وتقليد أهلها حتى في أخس المنكرات وأحط الآداب، وغفلوا عما يجره ذلك عليهم وعلى أمتهم من الشر الوبيل. فمن ذلك تلك الدعاية الممقوتة التي استفاضت على ألسنة الكثير من المفكرين ، وهي الدعاية الى السفور ونبذ الحجاب ، وتحبيذ اختلاط النساء

بالرجال والرجال بالنساء . لقد استعملوا كل قواهم وتعاضدوا من كل جانب لتلك الدعاية ، وتترسوا فيها بأن السفور باب العلم والحجاب قفل ذلك الباب ، وأن الداعى للتمسك بالحجاب حائل بين الأمة وبين العلم النافع . ومن يستطيع أن يرى نفسه قد وقفت حائلا بين الأمة وبين العلم النافع ؟ ومن يقبل على نفسه لقب أنه عدو للعلم وهو ما نصب نفسه للإرشاد إلا بما أوتى من العلم ؟ كان ذلك التذرع بنشر العلم سلاحا حادا استعمل بدهاء ومكر شديدين ، وساعد قوته ميل النفوس وبخاصة نفوس الناشئين الى فك العقال واطراح القيود ، والإيغال فى بيداء الإطلاق ، فاندفعت فئة ممن لا يبالون بمركز أدبى أو عادات متمكنة أو آداب مرعية ، فزجوا بأنفسهم فى التجربة الأولى ، فلما لم يجدوا رادعا تبعتهم فئة أخرى ، ثم كان من المترفين جولة جريئة باسم المدنية التى هم رافعو لوائها ، فتبعهم من يحاول اللحاق بهم حتى انفرط العقد وأصبح السفور عادة غير منكرة .

فهل وقف الأمر عند هذا الحد ، وقنع الشر بما اكتسب من فضيلة الأمة الراسخة ؟ ! إذاً كان الخطب هينا ، وكنا نقول : بعض الشر أهون من بعض . ولكن ما العمل وبذرة الشر سريعة الإنبات ، والنفوس الشهوانية تربة صالحة للغراس ! لقد جر هذا الى إحراز الشباب أمنيته ، فقد تفتح أمامه سبيل الشيطان ، وزين للناس باب آخر هو من السفور بأمتن صلة ، ذلك هو الاختلاط فى الأندية والمجالس والمحافل ثم الانفراد . أو الاجتماع الانفرادى — لا أدرى بماذا أسميه — أقول ثم تأبط الشاب ذراع الفتاة والابتعاد بها عن الرقباء والعيون ، يرتادون الخلوات ، ويتجولون فى المتنزهات ، ويعمدون فى بعض الأحيان الى دور الملاهى والملاعب ، يتلقيان دروس الغرام ، ومناط الحب والهيام ، ودور القبلات وأصناف المعانقات ، والمغازلات والمغاضبات . كل أولئك دروس تجرىء الهيوب منهما على الاقتحام ، ثم ينصرفان لا ندرى الى أى مأوى ، ولا يدرى أهلهما أين هما ، ولا يجرؤ أن يسألوهما . إنك ستنفر من سماع هذا الكلام ،

وستنكر على الكاتب أن يسطر هذا على صفحات المجلة، ولكنها حقيقة تجرى بين فئات، ويخشى إذا استمر الحال أن يتسع خرقها ويتفاقم شرها.

وإذا كان مجرد ذكرها قد جر الى اشمئزاز القارىء الى هذا الحد، فكيف يكون مجراها وفشوها. وهل التعامى عنها سيقتلع جذورها؟ إذاً لكان الواجب السكوت عليها. ولكن فاض الكيل وعم السيل. هذا شىء موجود فى بلدنا، وهو أصل كبير من أصول بليتنا فيما نشكو منه من أزمة الزواج، وهو الموضوع الذى عرضنا للكلام عنه وإن تطوحت بنا السبل وتشعبت علينا المسالك. فلقد كان من نتائج هذا فى المدن أمران: الأول الزهد فى النساء اللاتى كن يجتذبن بالبعد فأصبحن معروضات بالقرب.

ولقد قال القائل:

عرضنا أنفسا عزت علينا    عليكم فاستخف بها الهوان
ولو أنا منعناها لعزت    ولكن كل معروض مهان

والثانى إساءة الظن بهن وقياس الغائب على الشاهد، فظامت البريئات ولا يزلن يؤلفن الكثرة العظمى فى الأسر ولله الحمد، ولكن رب مستهترة جلبت سوء الظن على ألف مستترة، فكان هذا السلاح ذا حدين خطرين، أحدهما الإعراض عما سهل تناوله، وثانيهما إساءة الظن بمن خفى أمره، فأعرض الشباب عن الرغبة فى الزواج، والتمس لنفسه من المعاذير ما إذا حاولت إرجاعه عنه كنت تضرب فى حديد بارد وإنا نرجو القارىء عند وصوله الى هذه النقطة أن يسكت قليلا، ويفكر فيما يحيط به من معارف وجيران، ويستعرض ما يقع نظره عليه وما يسمعه من الأفواه، ويستنبط من نفسه مدى هذا الموقف وخطورته، ثم يستنجد الحمية الاسلامية والغيرة الدينية والمصلحة القومية لعله يتوفق الى طريق فيه إيقاف هذا السيل الجارف، ولا أحد أصغر من أن يعين، ولا أحداً كبر من أن يعان، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه.

السبب الثانى التغالى فى المهور والتنافس فى الجهاز :

هـذا سبب له دخل فى أزمة الزواج ولـكن الى حـد ما ، فقد يـكون الراغب فى الزواج صادق النية فى تكوين أسرة وتعمير بيت ، ويريد أن يعيش عيشة صالحة ، ويرى ألا سبيل الى العيشة الصالحة إلا الزواج من زوجة صالحة ، فيدور بعينيه يمينا وشمالا يرتاد من يليق به مصاهرته من الأسر التى تناسبه ، فيجد نفسه بين أسرة كريمة ذات حسب وشرف وصيانة وأدب ، فيرغب فى الاتصال بها ويعمد اليها يخطب مودتها ، فيجدها قد اعتمدت بمركزها ، واعتزت بحسبها وأدبها وحيائها بين الأسر المستهترة ، وعفافها بين الفئات الخليعة وثروتها بين أقوام فقيرة ، وهكذا من المميزات الصحيحة المعتد بها ، والخاطب يؤمن على ذلك ويغتبط به ، ولـكن يروعه المفاجأة بتقدير ثمن ذلك كله ، وإذا به مما ينوء بالعصبة أولى القوة ، فما بالك بالفرد الناشئ وهو على أبواب الحياة العملية ، فإذا ما تبرم واستعظمه قيل له : إنا سنستحضر كيت وكيت : الأثاث والرياش وما يتعلق به ، فاذا قال : كل هـذا لا حاجة لى به بل سيرهقنى ويكلفنى مالا طاقة لى به ، قيل له : وهل تنقص عن كريمة فلان وزوجة فلان أو عن عمتها أو أختها ؟ وهكذا فإما أن يقبل وهو مالا يستطيعه ، وإما أن ينصرف بنية أن يتروى وهو ما يكون غالبا ، وقلما يكون له بعد ذلك عودة . فإذا اتجهت نفسه الى من لا يغالى فى المهر وجد من المنفرات فى الآداب والعوائد مالا يحتمل ؛ فاذا ما استشار أحد أصدقائه للخروج من هذا المأزق وحل هذه العقدة ، كان أقرب جواب له : مالك وللزواج أما أنت عاقل ! ألم تر ألم تسمع ! ويأخذ يقص عليه من أنباء الزيجات السيئة ما يحل عزيمته ويحول دفة اتجاهه ، ومايدريك فاعله يقيض له من قرناء السوء من يزين له أسوء الأعمال ، فيرتكس فى شر الأوحال . ثم تبقى المخطوبة منتظرة مترقبة ، فربما طال عليها الأمد ، فلا ندرى أتصبح عانسا ترضى بالقليل ، أم تمسى بائسة من الجليل والخليل .

هـذا سبب من الأسباب يساعد فى كثير من الأحوال على تفاقم ذلك الشر ، وإن كان أصله من عدم التبصر لا من نية السوء ، وهو وإن لم يصل الى ما قبله فله دخل لا يستهان به .

السبب الثالث :

إعنات الزوجات أزواجهن فى باهظ المطالب من ملابس غالية الثمن لا يقصد بها إلا التبرج عند الخروج من المنازل ، ومن أدوات التجمل التى قلما يكون للزوج نصيب منها ، ومن طموح الى ارتياد دور الملاهى على مختلف أنواعها أو المتنزهات العامة أو الخاصة . يضاف الى ذلك عند بعض الأقوام مصاريف حفلات استقبال أسبوعية أو شهرية بلا داع ولا مناسبة مما يرهق ويضيق الصدر ، فاذا ما تهاون الرجل فى أداء تلك المطالب الفارغة ، ثار بينهما نزاع ينغص الحياة ، ويقبض الصدر ، ويجعل المعيشة تعيسة متعبة .

يجرى هذا للرجل فيشكوه لصديقه ، وهذا ينقله عنه متفكهاً متعجبا ، فيزيد الحديث بمستملحات ترد على الألسنة حتى تعم دائرة الأصدقاء ، فتشوه الحياة الزوجية فى نظر الجميع ، حتى يعد المقدم عليها مجازفا بهناءته وسعادته ، فتكون النتيجة تقوية فكرة الامتناع عن الزواج والحذر منه ، والخوف الشديد من الوقوع فيه .

السبب الرابع :

هو يقتصر على فئة يزعمون أنفسهم من المفكرين تفكيرا عميقا وبعيدا ، يرون أن الحياة قد كثرت مطالبها واشتد الزحام فى نيلها ، فلا يأمن إذا ما تزوج أن يعقب أبناء وبنات يعرضهم ويعرضهن لهذا المعترك القاسى ، وليس لديه من التراث ما يكفى لترفيههم ، فيكون بذلك قد قسا عليهم وزج بهم فيما لا قبل لهم به ، وكأنه يتمثل بقول المعرى متبرما بالحياة ومتاعبها :

هـــــذا جناه أبي علـ ـي وما جنيت على أحـــــد

بل إنه شبيه بمن وجه إليه النهى فى قوله تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » فأمثال هؤلاء قد انعكست بصائرهم وعميت عليهم الطرق ، وظنوا أن دولاب الزمان فى أيدى العباد ، وأن تقديرهم وتدبيرهم هـو الذى يحول اتجاه الفلك ويقدر الأرزاق والأعمار . فلبئس ما سولت لهم أنفسهم وما أوقعتهم عمايتهم وجهالتهم ! فمثل هؤلاء لا يعتد بأفكارهم وإن كانوا يزعمون أنهم فوق مستوى الناس فى أفكارهم . ومن محاسن الصدف أن هؤلاء قليلون ، وعدواهم مأمونة ، وأفكارهم قاصرة عليهم .

والذى يعنينا هـو الأسباب الثلاثة الأول ، فلعل شرحها وتبيانها يلفت أولى النظر السليم الى تلافيه والخلاص منه ، والله يتولى هدانا الى سواء السبيل .

ابراهيم الجبالى

---

# فضيلة العقل ورذيلة الحمق

وصف بعض الأدباء العاقل والأحمق فقال :

العاقل إذا والى بذل فى المودة نصره ، وإذا عادى رفع عن الظلم قدره ، فيسعد مواليه بعقله ، ويعتصم معاديه بعدله ، إن أحسن الى أحد ترك المطالبة بالشكر ، وإن أساء اليه مسىء سبب له أسباب العذر ، أومنحه الصفح والعفو .

والأحمق ضال مضل ، إن أونس تكبر ، وإن اوحش تكدر ، وإن استنطق تخلف ، وإن ترك تكلف ، مجالسته مهنة ، ومعاتبته محنة ، ومجاورته تعر ، وموالاته تضر ، ومقاربته عمى ، ومقارنته شقا . وكانت ملوك الفرس إذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ، والأحمق يسىء الى غيره ويظن أنه قد أحسن اليه فيطالبه بالشكر ، ويحسن اليه فيظن أنه قد أساء فيطالبه بالوتر ( أى بالثأر ) ، فمساوىء الأحمق لا تنقضى ، وعيوبه لا تنتهى ، ولا يقف النظر منها الى غاية إلا لوحت ما وراءها مما هو أدنى منها ، وأردى وأمر وأدهى . فما أكثر العبر لمن نظر ، وأنفعها لمن اعتبر !

وقال الأحنف : كل شىء يحفظ الأحمق إلا من نفسه .

# العلاقة بين المخ والذكاء

عرف الناس من أقدم الأزمان أن المخ آلة التعقل كما أن العين آلة الإبصار، فحبب اليهم البحث فيه، ولكن هذا البحث ما كان يتعدى الدائرة الفلسفية النظرية. فلما تقدم علم التشريح فى العصور الأخيرة كان أول ماعنى به الباحثون فى المخ أن يعرفوا علائق أجزائه المختلفة بالقوى العقلية: من الفكر، والذكر، والتصور، والحفظ، والتخيل الخ، فخيل اليهم أنهم اهتدوا الى تلك المراكز، فأكثروا من الكتابة فيها لإحكام ربط التعقل بالمخ، فكان ذلك عند الماديين من الأدلة على أن التعقل ليس بمظهر من مظاهر الروح، ولكنه خاصة من خصائص التركيب المخى، حتى قال زعيمهم (بوخنر): إن المخ يفرز التعقل كما تفرز الكلية البول.

ونحن فى هذه العجالة نريد أن نجمل القول فى سرد مذاهبهم القديمة والحديثة فى علاقة المخ بالتعقل، ثم نردفها بماثبت أخيرا من المشاهدات الجديدة فى المجال التشريحى نفسه، مما يهدم نظريات الماديين هدما لا قيام لها بعده، ويثبت أن التعقل مظهر من مظاهر الروح بأدلة لا تقبل النقض.

فإليك هذه الخلاصة الإجمالية مترجمة عن الألمانية من مجلة (كوسموس):

« كان الناس يرون منذ القدم أن لكمية المخ فى الكائنات الحية علاقة كبيرة بإدراكها، وليس هذا بصحيح، فان مقدار المخ فى بعض الحيتان قد يربو على خمسة كيلو غرامات، ومقداره فى النملة لا يتعدى جزءا من خمسة وعشرين ألف جزء من الغرام، ولايقول أحد بأن الحوت أذكى من النملة بما يبلغ مائة وخمسة وعشرين مليون ضعف.

فاذا اتخذنا معيارا آخر فجعلنا المقارنة بين الكائنات الحية من ناحية نسبة وزن مخها الى وزن بدنها كاملا، فان هذه المقارنة تكون أقرب الى تعيين علاقة المخ بالتعقل.

ففى مملكة النمل ما يدل على صحة هذا الرأى. وفى هذا المجال نجد الانسان قد

حل محله فى التفوق على جميع الكائنات ، فاذا اعتبرنا الانسان والغوريلا وكلب لبو نبرجر وغيرها مما تتساوى أوزان أجسادها ، رأينا أن مخ الانسان وهو أذكى الكائنات كافة يزن نحو ١٤٠٠ غرام ، على حين أن مخ الغوريلا لا يزيد وزنه عن ٤٥٠ غراما ، ومخ كلب لبو نبرج لا يبلغ أكثر من ١٢٥ غراما .

« وقد شوهد أنه لا عبرة بمقدار المخ إذا كان تركيبه ساذجا ، كما هو شأنه عند الحيوانات القليلة الذكاء . واتضح أنه كلما كان تركيبه دقيقا كان ذكاء صاحبه أكبر .

« وقد رأى المعنيون بأمر هذا البحث بأن القشرة الخارجية من المخ هى مركز القوى العقلية ، وأنها تزداد اتساعا كلما زادت الأحياء ارتقاء . ولما كان حجم الجمجمة محدودا فإن زيادة سطح القشرة المخية يحدث من كثرة التجعدات التى تعترى كتلة المخ . وقد شوهد أن هذه التجعدات تختلف قلة وكثرة باختلاف الحيوانات فى قوة الذكاء .

قال الأستاذ الدكتور فنسمر كاتب هذه المقالة عقب هذا كله :

« على أن كل هذه الملاحظات لا تصلح أن تكون قانونا يمكن تطبيقه فى جميع الأحوال ، فان أكبر مخ عرف حتى الآن كان لرجل أبله ، وإن بعض المفكرين الذين ارتفعوا الى درجة الزعامة فى مختلف العلوم والآداب كانت حجوم مخاخهم دون المتوسط . والعلاقة التى توجد بين مقدار المخ ودرجة الذكاء ما زالت تحت كِسَف من الظلام ، يحيط بها الجهل من كل مكان . فلا تصلح الوسائل التى نملكها الآن للتمييز بين مخ رجل عبقرى وآخر من العامة البلهاء . فلنقنع اليوم بما وفقنا اليه من العلم بأن مقدار المخ والأحوال الأخرى التى ذكرناها آنفا تساعدنا من وجه عام على معرفة درجة الذكاء ، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها أصلا للقياس والمقارنة فى جميع الحالات الفردية . والرجاء معقود على أن تكشف لنا فى يوم من الأيام أسرار العلاقات الموجودة بين القوى العقلية وتركيب المخ » انتهى .

ونحن نقول : إن هذه الحيرة التى بدأت تلوح فى أفق العلم من هذه الناحية التى كان

يظن الفيز يولوجيون أنهم بلغوا فيها المدى ، هذه الحيرة ليست كل ما فى هذا الباب ، فقد طرأت حوادث فى أثناء الحرب العالمية وبعدها كان لها تأثير لا يقف عند حد فى تعديل آراء العلماء فى مسألة المخ وعلاقته بالقوى العقلية . ونحن نأتى على بعض تلك المشاهدات من كتاب الأستاذ الدكتور جوستاف جوليه ، فاليك ما قاله فيه :

شوهدت أحوال تشريحية مرضية أثبتت أن حرمان إنسان من جزء عظيم من المخ فى المناطق التى كان يعتقد أنها رئيسية فيه ، قد لا يبتنى عليه أقل تكدر نفسانى ولا أقل انحطاط فى الشخصية .

فإليك ملخص أشهر هذه الحالات مستقاة من كتاب التاريخ السنوى للعلوم النفسية الذى صدر فى يناير من سنة ١٩١٧ :

قدم المسيو إدمون بيرييه للمجمع العلمى الفرنسى بجلسته المنعقدة فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ ملاحظة للدكتور ( ر . روبنسون ) تتعلق برجل بقى حيا سنة ، وبغير ألم يذكر ولا أى اضطراب عقلى ظاهر ، على حين أن مخه كان قد استحال الى مثل العجين ، واختلطت أجزاؤه حتى تحول كله الى دمل ذى قيح .

وقد رفع الدكتور هالوبو الى جمعية الجراحة بفرنسا فى يوليو سنة ١٩١٤ تقريرا عن عملية جراحية أجريت فى مستشفى نيكير على شابة وقعت من الترو . فعند فحصها شوهد أن جزءا عظيما من المادة المخية قد استحال الى مثل العجين بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معان . فلما حذفت هذه المواد المتحللة وسحبت قطع القيح العالقة بما بقى من مادة المخ ، شفيت المريضة وعادت الى ما كانت عليه من الصحة ، ولم يؤثر بتر جزء عظيم من المخ فى سلامة عقلها ، وكمال شخصيتها ، وقد كان ذلك يعتبر محالا فى نظر العلم قبل اليوم .

وإليك ما نشرته الجرائد الباريزية عند ذكرها خبر انعقاد المجمع العلمى الفرنساوى فى ٢٤ مارس سنة ١٩١٧ تحت عنوان : ( بترجزء من المخ ) قالت :

قدم الدكتور ا . جيبان ( guépin ) الى المجمع العامى حوادث يمد بها مسألة بتر بعض المخ بمعلومات جديدة متابعا بذلك تقاريره السابقة من هذا النوع الذى ينقض الآراء التى كانت تدرس عن وظائف المخ . وقد ذكر فيها أن الجندى الذى عملت له العملية فى مخه ووضع تحت العلاج قد خرج من المستشفى معافى ، وهو يزاول الآن وظيفة بستانى بقرب باريز رغما عن الجزء الكبير الذى بتر من القسم الأيسر من مخه . وقد استمر بعد أن تمت له العملية يستعيد صحته فى حالة طبيعية محضة كأن لم يبتر من ذلك العضو الرئيسى شىء ، مع أنه قد أزيلت منه فيما أزيل الدائرة التى تعتبر مركزا لوظائفه الرئيسية ، فاعتمادا على هـذه المشاهدة وعلى تسع مشاهدات من نوعها قدمت للمجمع العامى ، استطاع الدكتور جيبان أن يستنتج النتائج الآتية :

أولا — أن بتر جزء من المخ قـد ينجى حياة بعض المجروحين الذين لا تسلم نظريات العلوم المعروفة للآن بإمكان نجاتهم من الموت أو سلامتهم من عاهة مستديمة غير قابلة للشفاء .

ثانيا — أن الذين تعمل لهم عملية البتر لا يشكون من أى نقص حيوى بسبب فقدهم جزءا من مخاخهم .

وقد خطب الدكتور ( أجوستان أيتوريشا ) رئيس الجمعية الانتروبولوجية أى الخاصة بالمباحث الانسانية فى جلسة ٧ أغسطس سنة ١٩١٦ المنعقدة بمدينة ( سوكر ) عاصمة بوليفيا بأمريكا الجنوبية ، فقال :

« إليكم مشاهدات أكثر إدهاشا للعقل مما مر اقتطفتها من سجل عيادة الدكتور نيقولا أورتيز بواسطة الدكتور دومنجو جوزمان :

« أولها تتعلق بغلام فى السنة الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره رفع مخه كله فبقى طول المدة التى عاشها بعد هذه العملية حاصلا على جميع خصائصه العقلية .

« وثانيها تختص برجـل فى الخامسة والأربعين من عمره أصيب بجرح فى مخه

فى مستوى دائرة بروكا مصحوب بكسر فى عظم الجمجمة. فبالكشف عليه اتضح أن حرارته مرتفعة، وأنه قد نسى الكلام وأصيب بالشلل فى النصف الأيمن من جسمه؛ فشرع الأطباء فى معالجته، وأخذوا يلقنونه الكلمات من جديد؛ وكان هو يتابعهم فيما يلقنونه، وبينما هم يعتنون به إذ فاجأته حمى مرتفعة أودت بحياته. فلما شرحت جثته وجد أن النصف الأيسر من مخه قد استحال الى دمل ضخم. فهنا يمكننا أيضا أن نتساءل كيف كان يفكر هذا الرجل؟ وأى عضو كان يستخدمه فى التعقل بعد فساد المنطقة المخية التى يقول الفيزيولوجيون إنها محل الإدراك؟.

« ثالثة الحوادث صاحبها فلاح عمره ثمانى عشرة سنة؛ مرض مدة ثم مات؛ فدل تشريح جثته على أنه كان بمخه ثلاثة دمامل يبلغ كل منها حجم اليوسفية. ولكن شوهد رغما عن هذه الدمامل أنه كان يفكر كما يفكر جميع الناس، حتى إنه طلب ذات يوم أن يسمح له بوقت يقضيه فى بعض مصالحه؛ فسمح له به ومات وهو عائد الى المستشفى.

بعد إيراد هذه المشاهدات قال الدكتور أجوستان رئيس جمعية المباحث الانسانية:

« إذاً فلا توجد مراكز خاصة فى المخ بعضها لإدراك المعقولات، وبعضها للانفعالات، وغيرها للذكر، وأخرى للتصور، فهذه الميتولوجيا ( أى الأساطير الخرافية ) قد زالت من الوجود ».

ونحن نقول: اذا كانت عقيدة أن المخ وحده مصدر التعقل والتفكير والتصوير الخ قد اعتبرت اليوم من الأساطير الخرافية؛ فقد سقطت عقيدة من أكبر عقائد الماديين، وهى التى مؤداها أن ليس للانسان روح هى مصدر كل هذه الخصائص العقلية، وإنما مصدرها المخ وحده، فجاءت هذه المباحث مثبتة أن المخ ليس هو مصدر التعقل والتفكير؛ وإنما مصدرهما الروح؛ وهى تستخدم فيهما المخ.

وقد ضُرب المذهب المادى فى التعقل ضربات قاتلة أخرى من ناحية حياة الحشرات،

فقد أثبت العلماء وفى مقدمتهم الأستاذ هكسلى كبير البولوجيين ( علماء الحياة ) أن أبسط أنواع الحيوانات وهو ( الأميب ) المركب من مادة حيوية لم تدخل بعد فى شكل خلايا ، يأتى أعمالا محيرة للعقل ، حتى إنه ليبتنى لنفسه قوقعة جميلة الشكل ومزينة بألوان يأوى اليها ، فإن جرينا على قول الماديين من أن إلهامات الحيوانات نشأت من عقولها فهذا النوع من الحيوان لا مخ له ولا أعصاب ، فمن أين أتاه العقل وقد حير عمله العلماء ؟

وإذا كان مايقوله الماديون فى ربط التعقل بالمخ صحيحا ، فكيف نشأت هـذه الإلهامات المحيرة للعقل لحيوانات دنيئة لا يتصور أنها تدرك مما تعمله شيئا ؟ وقد رأيت مما نشرناه عن أعمالها هنا أنها لم تر ماعمله أسلافها ولا تعيش بعد إلقاء بيضها حتى ترى مايحتاج اليه أخلافها ، فإذا كانت هذه الحيوانات — وأنواعها لا تكاد تحصى — تصدر فى أعمالها هذه عن عقل ، وجب أن يكون هذا العقل أرقى من العقل الإنسانى ، إذ أنه يجعل الحشرة تدرك بدون تعليم مالم تره بعينها ، وتحسب له وللعوارض المحيطة به حسابا دقيقا ، وهذا مالا يمكن أن يقول به عاقل ، فلم يبق إلا القول بأن الخالق الحكيم هو الذى يطبعها على هذه الأعمال فتأتيها مضطرة لا خيرة لها فيها ، ويكون هذا من أدل الأدلة على وجوده سبحانه وتعالى ، وعلى شمول حكمته ورعايته جميع الكائنات ، لا يشذ عنها حتى التى لا يدركها الإنسان بغير المجهر .

ولقد فتنت مسألة ارتباط التعقل بالمخ هـذه عقول كثير من المتعلمين ، وجروا فيها على مذهب الماديين ، فاعتبروا المخ مولدا للتعقل لا آلة له ، وإذا صح هذا فلا محل فى زعمهم للاعتقاد بوجود روح للانسان ، ويسقط بسقوطها كل ما يختص بها من عالم روحانى وخلود ونعيم وعذاب مقيمين ، ويتلاشى بتلاشى هذه الأمور الناموس الأخلاقى نفسه ، وتحل محله الإباحة البهيمية . فجاءت هذه المكتشفات التشريحية التى ذكرناها مزيلة لشبهة الماديين ، ومعززة لأدلة وجود الروح تأييدا لم يكن منتظرا .

إن وظيفة العلماء أن يبحثوا وينقبوا مستمدين من الله الهداية والنور ، وليس عليهم أن يتخيلوا الخيالات ثم يتخذوها شبهات يضللون بها بسطاء العقول ، ويصرفونهم عن سواء السبيل ؟

محمد فريد وجدى

---

# من معدن النبوة

عن ابن عباس رضى الله عنه قال :

سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس بسط الأمل مقدم على حلول الأجل ، والمعاد مضمار العمل ، فمغتبط بما احتقب به غانم ، ومستيئس لما فاته من عمل نادم .

« أيها الناس إن الطمع فقر ، واليأس غنى ، والقناعة راحة ، والعزلة عبادة ، والعمل كنز ، والدنيا معدن ، وما بقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء ، وكل الى نفاد وشيك ، وزوال قريب ، فبادروا أنتم فى مهل الأنفاس ، ومدة الاجلاس ، قبل أن يؤخذ بالكظم ، فلا يغنى الندم » انتهى .

نقول : إن هذا الكلام لا تغنى قراءته عن حفظه ، ولا حفظه عن العمل به ، فهو نفحة من روح النبوة يتلقاها من كتبت له السعادة ، ويودعها سويداء قلبه ، وصميم معناه ، ويأخذ نفسه على اتباعها ، رجاء أن يصل الى ما يتطلبه من السعادة الصحيحة . أليس الطمع فى الحقيقة فقرا ، واليأس عما فى أيدى الناس أو فيما لا ينال غنى ، والقناعة بما حصل فى يده بالاجمال فى الطلب غنى ؟ أو ليست العزلة عن أهل الغفلة عبادة ، والعمل لما ينفع كنزا ، والدنيا معدنا يستخرج منه باحسان العمل فيها ما ينفعه غدا ؟ أو ليس كل ما بقى منها بعد حصول المرء على هذه الصفات العليا يشبه ما مضى منها من الفانيات كما يشبه الماء الماء ؟ أليس كل طيباتها الى زوال لا يبقى منها إلا ما يجنيه صاحبها فى تصيدها من إثم أو عدوان يبقى عليه وزره ، وتحيق به تبعاته ؟ وليس معنى هذا أن يعف الانسان عن الطيبات المشروعة التى بينها الكتاب وأيدتها السنة ، وإنما المراد ما سفل منها ولا يناسب كرامة الانسانية .

## خطبة

# افتتاح العام الدراسى

تفضل حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين فأرسل إلينا الخطبة التى ألقاها لمناسبة افتتاح العام الدراسى للكلية ، فتأخرت عن موعدها لتزاحم المواد ، فنستدرك ذلك بنشرها اليوم لما حوته من الحكم الغوالى والنصح الثمين . قال فضيلته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى منّ على من أخلص بنعمة التوفيق ، فسلك به سبيل الرشاد ، وفتح له باب الفيض . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير داع الى الله ، أنقذ العالم من وهدة الحيرة وظلمة الجهالة ، الى سماء العلم ونور الهداية . وعلى آله وصحبه الذين نهجوا منهجه ، وتأدبوا بأدبه .

أيها الاخوان :

بعد تحية الاسلام ، لى الشرف أن أعلن لحضراتكم أنه قد مر العام الدراسى الثانى لهذه الكلية على خير ما يرجوه محبو الإصلاح ، وأنه ترك عندى من الغبطة والارتياح فوق ما تركه سابقه ، فقد رسم لحضراتكم فى نفسى من أثر الفضيلة صورة الإعجاب والإكبار . وناهيكم بمعنى تتكون صورته من الخلال الآتية : صدق النية فى العمل ، وقبول النصح فيه ، والوفاء بالعهد ، والمودة الخالصة .

أما صدق النية ، فلأنى قد رأيت منكم الحب الصادق ، والرغبة فى تثقيف الطلبة على قواعد الدين والعلم الصحيح ، اللذين هما حليفان لا يتنافران فى نظر الإنصاف والعقل السليم .

وأما قبول النصح ، فله عندى من الشواهد ما يحملنى على الاعتراف بأنكم من أسلس العاملين المخلصين .

وأما وفاء العهد ، فحسبكم منه القيام بما قطعتم على أنفسكم من جد ونشاط فى إتمام دراسة ما هو مقرر عليكم ، مع الحرص على الزمن ، وصرف المجهود فى تحقيق المواد بوجه ينطبق على مصلحتى العلم والطلاب ، الأمر الذى كانت معه النتيجة النهائية بدرجة سارة منطبقة على ما بذلتم من همة .

وأما المودة الخالصة ، فلا أدل عليها من اتصالكم القوى فى مظاهر أعمالكم العامة والخاصة .

ولقد كان من ثمرات هذا أن وجدت منكم قدوة حسنة فى نفوس تلاميذكم ، تأسوا بها فساروا سيرتكم ، وأصبحوا بفضل أدبكم أمثلة كاملة لطلاب العلم المجدين ، وصار من الممكن أن نرفع الصوت عاليا بأنه يجب أن يمحى من النفوس ما نقشه فيها أهل الأهواء من أن الأزهر غير قابل للإصلاح ، وأن أهله لا يعرفون إلا الجمود .

فإن تولوا فليقولوا لنا ما هو الإصلاح الذى يقصدونه بعد ما وصل طلاب الأزهر الى هذا الحد من الثقافة بسائر العلوم قديمها وحديثها ، وما هى المرونة ، والعلم الصحيح خير مهذب وأعظم هاد ، وقد أخذ منه الأزهريون والحمد لله بقسط لا يمكن لغيرهم أن يدعى مثله ؟ وإن شاءوا فلندع أبناءنا وأبناءهم ثم نتحاكم الى الحجة والبرهان .

نحن لا ندعى لأنفسنا الكمال المطلق ، فليس فى إمكان أحد من البشر أن يدعيه ، وما زلنا نطلب من العلم درجة أعلى . كيف والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ) ويقول : ( وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ) وإنما نقول للمتقولين : إن من الظلم رمى البرىء ، ومن الغبن أن يبخس الناس أشياءهم .

ونقول لحضراتكم : يجب ألا يمر هذا دون أن نتخذ لنا منه عبرة ومسلكا للتفاهم مع المخالفين . فعلينا أن نتقارب . ولا سبيل الى التقارب إلا بحسن النية . واعلموا

أن جل التبعة ملقى على عاتقنا . فنحن الدعاة . ومن واجب الداعى الى الحق أن يستخلص النفوس اليه بالرفق فى دعوته الحكيمة على مبادئ التآخى الإسلامى .

لهذا أطلب اليكم أن تسلكوا هـذا الطريق ، فتجمعوا قلوب الناس عليكم وتخاطبوهم على قدر عقولهم عملا بالحكمة النبوية الشريفة : ( نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ) .

هناك حملة قوية ضد الإسلام من أعدائه . ولا يمكن رد غائلتها إلا بجمع كلمة المسلمين ، وحمل العامة منهم على حب الدين . فاعملوا لهذا المبدأ ، واجنحوا للسلم متوكلين على الله بارئكم ، فما غلب المخلصون فى زمن ما ، بل كانت عاقبتهم النصر والثبات . ولتكن نصرة الحق قبلتكم ، حتى لا يكون لغيره سلطان على نفوسكم ، ولا يجد الباطل دليلا على عملكم ، واستقيموا على الهدى حيث أقامكم الله ، وضاعفوا العناية فى العام المقبل ، فإنه خاتمة الدور الأول لعملكم ، وفيه تظهر نتيجته النهائية ، فعساها تكون سارة إن شاء الله ، كما يرجو المصلحون الذين يودون الخير لدينهم ، وكما هى رغبة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ، الذى ما برح يشمل العلم برعايته ، ويكلأ أهل الدين بعطفه ، والذى شرف الأزهر لافتتاح كلياته بتلكم الزيارة الميمونة التى يعدها التاريخ من أكبر آثاره الجليلة فى حوادث العام الماضى . فعسى أن نوفق لرضا الله تعالى ، وتحقيق رغبته السامية .

نسأله تعالى أن يديم جلالته حصنا للإسلام ، ممتعا بتمام الصحة وعزة الملك ، وأن يحفظ له أنجاله الكرام ، لا سيما حضرة صاحب السمو الملكى ولى عهد المملكة المصرية المحبوب « الامير فاروق » ؟

عبد المجيد اللبان

# الى الذين لا يؤمنون بالغيب

من الناس من يتخيلون أن مظهر استقلال الرأى وحرية التفكير إنما هو فى جحود الانسان كل ما لا يقع تحت حسه ، ولو صح ما يقولونه لوجب أن ينكروا كثيرا من الحقائق العلمية التى لا يمارى فيها إلا الجاهلون . فالى هؤلاء نسوق القول ، فنعرب لهم بعض ما قاله العالم الفلكى المشهور كاميل فلامريون فى كتابه (الموت وغامضته) قال :

« الإنسانية تعيش فى جهالة بعيدة الغور وهى لا تدرى أن تركيبنا الجثمانى الطبيعى لا يعرفنا بحقيقة الواقع من الحوادث الوجودية ، فإن حواسنا تخدعنا عنها ، والتحليل العلمى وحده هو الذى يؤاتى عقولنا عنها ببصيص من النور .

«من أمثلة ذلك أننا لا نشعر بشىء من الحركات الهائلة للكوكب الذى نعيش عليه ، فإنه يظهر لنا ساكنا ذا أوضاع محدودة بالنسبة الى فوق وتحت ويمنة ويسرة الخ ، ومع هذا فإنه يسبح فى الفضاء بسرعة ١٠٧٠٠٠ كيلو متر فى الساعة فى تطوافه السنوى حول الشمس ، وهى نفسها تنتقل فى خلال اللانهاية السماوية بحيث إن خط سير الأرض لهذا السبب لا يكون خطا منحنيا مقفلا قط ، ولكن حلزونيا مفتوحا دائما . وإن كرتنا الهائمة على وجهها فى الفضاء لم تمر من نقطة واحدة دفعتين منذ وجدت الى اليوم .

« وفى الوقت نفسه تدور هذه الكرة على نفسها دورة فى كل أربع وعشرين ساعة ، بحيث إن ما نسميه (فوق) فى ساعة من الساعات يكون (تحت) بعد اثنتى عشرة ساعة . وإننا نجرى فى هذه الحركة النهارية بمعدل ٣٠٥ أمتار فى الثانية فى خط عرض باريز ، و ٤٦٥ مترا فى خط الاستواء .

« هذا وكوكبنا الأرضى تلعب به أربع عشرة حركة مختلفة ، فلا نشعر بواحدة

منها حتى التى تمسنا من قرب ، كالمد والجزر للقشرة الأرضية ، وهى ظاهرة طبيعية ترتفع معها القشرة الأرضية دفعتين فى اليوم تحت أرجلنا الى علو ٣٠ سنتيمترا ، ولا توجد أية علامة ثابتة تجعلنا نلحظ هذا الأمر مباشرة . ولولا وجود الشواطىء لما أدركنا وجود المد والجزر فى الأقيانوس كذلك .

« وهل نشعر بالهواء الذى نستنشقه أو ندرك له ثقلا ؟ إن سطح جسم الانسان يحمل منه ما وزنه ١٦٠٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلى ، وما كان أحد يتخيل أن الهواء ثقيل قبل (غاليليه) (وباسكال) (وتورسلى) هذا ما يشهدنا إياه العلم ، ولكن الطبيعة لا تشعرنا به .

«وهذا الهواء مخترق بتيارات مختلفة نجهلها كل الجهل . فالكهرباء تلعب فيه دورا لاينقطع ، ولكننا لا نشعر بها إلا وقت الأعاصير ، أى وقت اختلال التوازن بشدة .

« والشمس تبعث لنا على وجه الدوام بإشعاعات مغناطيسية تؤثر عن بعد ١٥٠ مليون كيلو متر على الإبرة المغطسة مما لاتشعر به مشاعرنا ، ولكن توجد أجساد حساسة لطيفة تشعر بوجود هذه التيارات .

« وأعيننا لا تدرك ما نسميه نورا إلا بوساطة ذبذبات الأثير المحصورة بين ٣٨٠ ترليون ذبذبة فى الثانية لونها أحمر متطرف ، وبين ٧٦٠ ترليون ذبذبة لونها بنفسجى متطرف ، والذبذبات البطيئة للأشعة الحرارية الحمراء المعتمة فيما دون ٣٨٠ ترليون موجودة ، وعاملة فى الطبيعة كما تعمل الذبذبات السريعة فيما فوق الـ ٧٦٠ ترليون ذبذبة للأشعة الحرارية البنفسجية المعتمة ، ومع ذلك فهى غير مرئية لشبكية أعيننا .

« وأذننا لا تدرك ما نسميه ( أصواتا ) إلا ابتداء من الذبذبة الثانية والثلاثين من الأثير فى الثانية للأصوات التى نسميها شديدة حتى تصل الى ٣٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية للنغمات الحادة .

« وأنفنا لا يشعر بما نسميه ( روائح ) إلا عن قرب شديد ، وفى عدد محصور منها فقط ، ويختلف شم الحيوانات عن شم الانسان .

« وغير هذا فان الواقع أنه لا يوجد فى الطبيعة خارج حواسنا لا نور ولا صوت ولا رائحة . فنحن الذين وضعنا هذه الكلمات لنعبر عما نحسه من تأثراتنا ، فالنور شكل من أشكال الحركة كالحرارة ، ويوجد فى الفضاء فى وسط الليل من النور بقدر ما يوجد منه فى وقت الظهيرة . أعنى بهذا أنه توجد فيهما أعداد متساوية من الذبذبات الأثيرية تخترق هذه اللانهاية السماوية ، ولكننا لا نتأثر بها ، فلا نراها لعدم انعكاسها علينا . والصوت شكل آخر من أشكال الحركة ، وليس هو بذى جابة إلا بالنسبة لعصبنا السمعى . والروائح تحدث من جزئيات سابحة فى الهواء تؤثر على عصبنا الشمى .

« فهذا مبلغ ما تصل اليه قدرة حواسنا الثلاث التى تصلنا بالعالم الخارجى .

« وأما الحاستان الأخريان : الذوق واللمس ، فلا تتأثران إلا بالملامسة . وهذا شىء قليل ، وهو فى كل الأحوال لا يؤاتينا بشىء من العلم بحقيقة الواقع ، فإنه يوجد حولنا من الذبذبات والحركات الأثيرية أو الهوائية ، ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به . هذه حقيقة علمية مطلقة ، وبديهة عقلية لا يمكن النزاع فيها .

« فيمكن أن يوجد حولنا أشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع حواسنا أن تصلنا بها . . . .

« فإذا تقرر وثبت بالدليل أن أعضاءنا الإدراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود ، وأنها قد تعطينا إدراكات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا ( لا تنس حركات الأرض وثقل الهواء والإشعاعات والكهرباء والغناطيس ) قلنا إذا تقرر ما ذكرناه فلسنا نكون على شىء من التثبت إن ظننا أن ما نراه هو كل الحقيقة ، بل نحن مضطرون للتسليم بضد ذلك .

« قلنا إن كائنات حية يجوز أن تكون موجودة حولنا ، فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فها هى تتكاثر حولنا بالمليارات ، والدور الذى تلعبه فى حياة جميع الأجسام من الخطورة بمكان .

« فالمظاهر لا تكشف لنا الواقع ، ولا يوجد إلا حقيقة واحدة نستطيع تقديرها مباشرة هى فكرنا ، والموجود الذى لا يمكن النزاع فيه فى الإنسان هو عقله » .

ونحن نقول : ضع هذا الكلام الصادر من صميم العلم أمامك ، ثم تأمل فى أقوال الحمقى الذين يتوهمون أنهم نالوا الدرجات العلى من الثقافة لمجرد قولهم : نحن إنما نتبع ما تقدمه لنا الطبيعة ، فلا نعتقد إلا بما نحس بوجوده بإحدى مشاعرنا . وإذا صح لهم مايدعون كان عليهم أن ينكروا غالب مقررات العلوم الطبيعية التى يشيدون بذكرها ، ويفخرون بالانتماء اليها . فأين هم من هذه الموجودات التى ثبت وجودها لأهل العلم ولا يمكن الاهتداء اليها بحاسة من الحواس الخمس ؟ .

إن ما ظهر الى الآن من حوادث الكون لا يمكن أن يقارن بما خفى منها « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، وفيما ثبت وجوده اليوم بالدلائل القاطعة ما لا يمكن رؤيته مطلقا ، لقصور حواسنا عن التأثر به ، وقد اهتدى اليه العلماء اتفاقا ، فمكتشف أكبر القوى العالمية وهى الكهرباء التى نتعم اليوم بآثارها فى أهم مرافقنا ، لم يوفق الى اكتشافها إلا عرضا وبغير قصد . وذلك أن أحد مساعدى العالم ( جالفانى ) الإيطالى المتوفى سنة ( ١٧٩٨ ) شاهد اضطرابا فى عضلات ضفدعة قتلت حديثا ، فأخبر بذلك أستاذه ، فأتى بضفادع وقتلها ثم علقها على قضبان من النحاس ، فشاهد حدوث اضطرابات فى أعضائها كلما مست بقطع من الحديد ، فكان ذلك سببا فى اكتشافه الكهرباء الكائنة فى الأجساد . فلما نبغ العالم الطبيعى ( فولتا ) مواطنه المتوفى سنة (١٨٢٩) تابع أبحاث أستاذه فى الكهرباء ، فتوصل الى اكتشاف العمود الكهربائى الذى أمكن به توليد القوة الكهربائية واستخدامها فى المنافع الإنسانية على الوجه المشاهد اليوم .

أعلمت كيف قابل الناس مباحث الأستاذ جالفانى فى العصر الذى كان يعيش فيه ؟ قابلوها بالاستهزاء والسخر وسموه بسبب تجاربه فى الضفادع «رقص الضفادع». فكان جوابه لهم أن قال : « اسخروا منى ما شئتم فهذا لا يمنع أنى على وشك اكتشاف أكبر القوى الطبيعية » .

ولو أصر الإنسان على القول بأنه لا يسلم إلا بما يرى لظل الى اليوم يقول بأن الشمس هى التى تدور حول الأرض ، فانه يرى ذلك رأى العين ، والواقع أن الأرض هى التى تدور حول الشمس . فانظر الى أى حد يخطىء الحس فى تقدير أكبر الحركات المرئية وأشيعها ؟ وإذا صدق هذا فى المرئيات أفلا يكون أولى أن يصدق فيما دونها من الحقائق الكونية ؟

قبل أن يكتشف العلم ظاهرة الانكسار فى الأشعة الضوئية عند ما تمر فى مناطق مختلفة الكثافة ، كان الناس يعتقدون أنهم متى رأوا قرن الشمس بارزا من الأفق ، حكموا حكما قاطعا بأنها قد ظهرت لنا ، والحقيقة أننا نرى الشمس قبل أن تبرز من وراء حجابها بسبب انكسار أشعتها فى الهواء وهى تخترق طبقاته المحيطة بالأرض ، فان شعاعها لهذه العلة يصل الى أبصارنا قبل أن تبرز الشمس للعيان بدقائق معدودة .

وظاهرة الانكسار الشعاعى هذه نستطيع أن نثبتها لكل إنسان بتجربة بسيطة ، وذلك بأن يضع ملعقة فى كوب مملوء بالماء ، فيرى أن الملعقة التى عهده بها مستقيمة قد ظهرت معوجة . والسبب فى ذلك هو ما ذكرناه من أن الأشعة التى برزت من أجزائها المغموسة فى الماء قد كابدت انكسارا بدخولها فى الهواء لاختلاف كثافتيهما ، فتظهر الملعقة معوجة على خلاف حقيقتها .

ثم إن حواسنا هذه التى نعول على أحكامها كل التعويل تضللنا فى أكثر ما تصلنا به من المحسوسات . فقوة الإبصار ، وهي أكبر القوى التي نعتمد عليها ، ترينا الشمس

وهى أكبر من الأرض بنحو مليون وأربعمائة ألف مرة ، قرصا صغيرا سابحا فى الفضاء ، وترينا النجوم التى تفوق حجم الشمس ملايين المرات نقطا لامعة ، وتظهرها ثابتة مستقرة ، وهى تقطع الفضاء بسرعة ألوف الكيلومترات فى الثانية الواحدة .

هـذا فى وقت صحة هـذه الحواس وسلامتها من الأعراض ، أما متى انتابتها بعض الأمراض فإن تضليلاتها لنا لا تقف عند حـد ، فترى العين إذ ذاك الألوان على غـير حقيقتها ، وتتراءى لها أدخنة متكاثفة ، وسمادير محومة أشباه الذباب تحجب عنها المرئيات ، وترى بروقا لامعة وسهاما نارية متطايرة ، ولا يوجد فى الواقع شىء من ذلك ، وتسمع الأذن دويا لا يطاق هـولا كأن آلة بخارية فى حالة ثوران قـد سلطت عليها ، ولا يوجد فى الواقع أثر من ذلك كله . فإذا شكا المصاب به لمن حوله فقد لايصدقه من لم يكن قد أصيب بمثله . وقد يحسب الفم المريض أن الماء العذب ، بل الشراب المتناهى فى الحـلاوة قد مزج بالعلقم المر . وقس على ذلك بقية الحـواس فى ضروب الأعراض المرضية .

فهذه الحواس لا يجوز أن يوثق بها ثقة عمياء ، ولا أن يوقف مع إحساسها بالأشياء دون أن تعدل بحكم العقل وحقائق العلم . ولست أقول لكم فى الغيب من حقيقة ، ولـكنى أقول إن الحقائق الـكبرى كلها محجوبة عنا ، وإن هذه الحواس الخمس التى تشترك معنا فيها العجماوات لا توصلنا اليها إلا بنور من العقل وعلى بصيرة من العـلم . وهـذا هو الذى جرى عليه الإنسان وسيجرى عليه الى أن يبلغ ما قدر له من كمال ؟

محمد فريد وجدى

---

# بعض خصال المؤمن

روى عن النبى صـلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث خصـال من كن فيه فقـد استكمل الايمان : من اذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل ، واذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، واذا قدر عفـا .

# كيف انتشر الاسلام

## — ٢ —

### دخوله فى أوروبا وآسيا

تابع فى هذا العدد ما سبق لنا نشره من هذا البحث مترجما عن الألمانية من كتاب « الاسلام » للمستشرق الالمانى الاستاذ الدكتور مارتن مارتمان ، قال :

« بدأ الاسلام بظهوره عند البلغاريين المستوطنين حوض نهر الفولجا من أوروبا حوالى سنة ٩٠٠ ميلادية ، حيث اجتاح المغول جميع أنحاء بلادهم الى أن عمّت فتوحاتهم ( فى عهد « باطو » وهو حفيد جنكيز خان ) الأقليم الواسع فيما بين نهر سير داريا وبحيرة آرال وبحر قزوين وبلاد القوقاز ونهر « دنيبير » .

« ودخل من ملوك الطائفة الذهبية كثير فى الاسلام ، فقويت بهم شوكته ، وزاد سلطانه ، خصوصا أن أحدهم « بركه خان » كانت تربطه وسلاطين المماليك بمصر روابط ودية .

« وقد انتشرت تعاليم الاسلام فى أنحاء سيبيريا وساعد على انتشارها تنقل التجار القادمين من بلاد ما وراء النهر وغسان فى هـذه الأنحاء ، وقد نجحت الدعوة الى هذا الدين الى حد بعيد فى منطقة « بارابا » .

« وأما فى أوروبا فكان المسلمون نزلاء ذوى مصالح ، إذا استثنينا اسبانيا وصقلية فى العصور الوسطى .

« وأما فى إفريقية فابتدأ الاسلام بالظهور فى مصر حيث امتدت الفتوحات الاسلامية حتى عمت السواحل الغربية ، ثم امتد جنوبا بمحاذاة نهر النيل حتى وصل قلب القارة الإفريقية . وجاء الاسلام الى بلاد السودان من نواح متعددة من الغرب ، ومن

الشمال الغربى من الجزائر وتونس وطرابلس ، ومن صعيد مصر ، ومن السودان . انتشر الاسلام فى جوف القارة الآنفة الذكر الى أن وصل الى المحيط الهندى ، فدانت له جميع القرى فيما بين كوناكرى ولاجوس فى ينجيريا ، وإن كان لم يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا فى الجنوب الغربى . وأما القبائل العديدة من المسلمين الموجودين فى مستعمرة الكاب فيرجع عهد إسلامها الى أيام السيادة الهولاندية .

« وأما شرق القارة فكثيرا ما غزاه العرب والفرس من جهة البحر ، وأسسوا الجاليات الإسلامية من مدينة « موجديشو » حتى مدينة « كلوه » ومنها انتشر الإسلام حتى عم جزائر الزنجبار المجاورة ، وكان معظم المهاجرين يفدون الى هذه النواحى من اليمن ومن عمان . ولم تقتصر الفتوحات الاسلامية من جهة الشرق على هذه النواحى فحسب ، بل إنها كثيرا ما تغلغلت داخل القارة . وكان من مزايا دخول الاسلام وانتشاره فى هذه الأقاليم المظامة أن تحسنت الزراعة ، وأمنت التجارة ، ونظمت طرق النقل ، وخرج الأهلون من ظلمات الجهالة الى نور المعرفة ، فتعلموا القراءة والكتابة : ومن آثار الاسلام الخالدة محاربة المسكرات ، والقضاء على أعمال القسوة ضد الانسان والحيوان ، وأكل لحوم البشر ، وقتل الأطفال والكهول والمرضى ، بعد أن كانت هذه الرذائل متفشية مثل الوباء الخبيث بين الأهالى الوثنيين .

أمر الاسلام بالمعروف والشفقة والمحبة بين عباد الله ، وحث على الصدقة والزكاة ومساعدة المحتاج وإغاثة الملهوف ، فكل هذه الأمور وغيرها من الفرائض الدينية جعلت الأهالى من الوجهة الخلقية والاجتماعية فى مصاف غيرهم من البشر ، إذ أخرجتهم من عالم الوحشية الى عالم الانسانية المسئولة . وقد عودهم الاسلام النظافة والنظام .

« ولما كان علماء الدين ورافعو لواء الاسلام النازحون الى هذه النواحى من العمال المهرة والزارعين النشيطين والتجار ذوى الكفايات فيهم ، تقدمت الحياة الاقتصادية من النواحى المختلفة » .

نقول : إن ما ذكره الأستاذ ( مارتن هارتمان ) من أن الإسلام نقل الذين أخذوا به من حضيض الوحشية الى حالة راقية من الحياة الاجتماعية ، هو ما اعترف به للاسلام جميع الذين شهدوا آثاره على الشعوب الافريقية والأسيوية المنحطة من القسيسين والمبشرين أنفسهم ، فقد أجمعوا على أنه متى مد رواقه على قبيلة وثنية نقلها فجأة من الدركة الساقطة التي كانت عليها ، الى درجة من النظام والرقى تباين بها جميع القبائل المحيطة بها ، ومكنها من السيادة عليها .

والسر فى هذا التطور السريع فى نظرنا ونظر كل من يعرف الاسلام يرجع الى أصوله الكريمة ، وتعاليمه السديدة . فان أول ما يتقاضاه من الذى يريد الدخول فيه أن يطهر قلبه من أدران الشرك ، وأن يسقط من مخيلته تلك الأوهام والضلالات الوثنية التي ورثها عن أسلافه ودان لها بغير روية ، وأن يعترف لله تعالى بالوحدانية ، ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة ، وأن يقوم بجميع أركان الاسلام وتعاليمه ، وهى فى الحقيقة طَهور للنفس تجتث منها جميع ماركمته الأديان الباطلة عليها مما ينافى العقل ، ويضلل الفكر ، ويكدر صفاء الروح . فتنشط الفطرة الانسانية من عقالها ، وتفتك ملكاتها السامية من رُبُطها ، فتدفع الانسان بقواها الذاتية الى تغيير موقفه فى الحياة ، وتعديل وجهته فى سلوك جادتها ، وتعين له مثلا أعلى ، وتحثه على بلوغه . ويظهر أثر ذلك كله فى مجموع القبيلة ، فيرى الخارجون عنها انقلابا طرأ عليها يوشك أن يتأدى بها الى غايات من الرقى بعيدة .

ولاغرابة فى هذا كله فإن الاسلام يوجب على أهله الإقلاع عن كل مايفسد كيان الانسانية من الصفات الحيوانية ، كتعاطى المسكرات والمقامرة والفسق ، وقتل الأولاد وإهمال تربيتهم ، واحتقار النساء والشيوخ والضعفاء ، وارتكاب الخسائس والدنايا من جميع الضروب ، ويحث على مكارم الأخلاق ، وعلى طلب الأحسن والأجمل من كل شيء ، وعلى تحرى الحق والصدق فى المعاملات ، وعلى تطلاب العلم والحكمة وإكبار

أهلهما ، وعلى استصلاح المعيشة بالوسائل المشروعة ، والترفع عن الظنون والأوهام ، ومجانبة أهل البطالة والعصيان ، والإقبال على الله بالقلب ، منزها إياه عن النقائص ومشابهة المخلوقين ، وعدم تناول ما يعلو طور العقل بالتأويلات والتخيلات الخ .

فهذه الصفات كلها التى هى من أوليات الاسلام تحدث فى الشخصية الانسانية تطورا بعيد المدى لا تقف آثاره عند حد . وهو الذى شهد به جميع دعاة الأديان فى إفريقيا وآسيا ونشروه فى مؤلفاتهم ونشراتهم الدورية ، وأثر عن هذا الدين فى كل دور من أدواره .

وليس هذا رأى الدعاة وحدهم ، فقد أصبح يقول به رجال عظماء من أهل العلم مثل ( برنارد شو ) الفيلسوف الانجليزى ، وقد نشرنا رأيه فى مقالة خاصة فى هذا العدد ، فإنه يرى أن أوروبا ستضطر أن تأخذ بالاسلام فى نحو قرنين من الزمان ، لتستشفى به من أدوائها الاجتماعية التى كادت تودى بمدنيتها . فهذه الآراء ليست ملقاة جزافا ، ولكنها ثمرة تفكير طويل ، وروية متزنة . وهى من مثل برنارد شو أوقع فى النفس ، وأفعل فى الجماعات ، فان الرجل يشتغل بالبحث فى الشئون النفسية والأمور الاجتماعية ، فهو خبير بأدواء الأخلاق ودوائها ، وبطب النفوس وعلاجها .

وإن هذه الحقائق التى بدأت تتجلى فى حلة من علم القرن العشرين سيرن صداها فى أرجاء العالم ، وستعم شعوبه قاطبة فى وقت قريب ، وإذ ذاك تكتسب الدعوة الى الاسلام قوة على قوتها ، فيصبح انتشاره بين الأمم الغربية أمرا لا مرد له ، والله غالب على أمره .

---

# فضيلة الاستشارة

قال النبى صلى الله عليه وسلم : المشورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة .

وقال عمر بن عبد العزيز : إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يضل معهما رأى ، ولا يفقد معهما حزم .

# عجائب المخلوقات

## عادة الاسترقاق عند النمل

كان الناس يظنون أن الاسترقاق عادة بشرية محضة ، ليس فى العالم الحيوانى ما يشبهها ، ولكن علماء الحيوان أثبتوا أن عادة الاسترقاق موجودة فى النمل قبل أن يوجد الانسان على الأرض بآماد طويلة .

وذلك أن بعض أجناس النمل ألهمت أن تقوم على نظام اجتماعى مقرر . وقد قسمت جماعتهم الى قسمين : العملة والمحاربين ، فالأولون أصغر أجسادا وأقل قوة من المحاربين الذين قد وكل إليهم مكافحة الأعداء والدفاع عن الحوزة .

من الأجناس التى تمارس الاسترقاق ، النمل المسمى روفسنا ، وآخر يسمى روفا وغيرها . وهو يعمد الى الاسترقاق باختطاف أبناء النمل الأسود ، فيشن لذلك عليها من الغارات ما لا يكاد يتصور . فقد نقل الأساتذة هور وكروبى وسبنسر ولورد افبرى وغيرهم أنهم شاهدوا هذه المعارك ورأوا أن النمل ينقل قتلاه وجرحاه من ميدان القتال فى أثناء حصوله ، الى أمكنة هادئة وراء صفوف المحاربين .

أما ما تستحوذ عليه هذه الأجناس من نابتة العدو فتكلفها بجميع ضروب الخدم ، فتراها تشتغل طوال نهارها فى جمع الذخيرة وتربية الصغار . ولا شىء أعجب من مشاهدة هذا الرقيق من النمل يؤدى عمله بكل أمانة وصدق .

ولما تولد نملة لاحدى ساداتها ، تراهم يساعدونها فى التخلص من قشرتها ، وقد يكون هذا العمل شاقا فيجتمع له عدة أرقاء ليتساعدوا على القيام به .

قد يفرط بعض أجناس هذا النمل فى الاعتماد على أرقائهم فيصبح فى غاية الكسل إذ يترك جميع الأعمال ليقوم بها أسراه ، ويبالغ فى الاعتماد عليها الى حد أنه يكسل عن المشى ، فيكلف الأرقاء أن تحمله على ظهورها ، كما هو حال النمل المسمى ( بوليير جوس روفيسنس ) .